مجلة جامعة البعث

سلسلة الآداب و العلوم الانسانية

مجلة علمية محكمة دورية

المجلد 44 . العدد 13

1443 هـ - 2022 م

أ. د. ناصر سعد الدين	رئيس هيئة التحرير
أ. د. هايل الطالب	رئيس التحرير

مديرة مكتب مجلة جامعة البعث

بشرى مصطفى

د. محمد هلال	عضو هيئة التحرير
د. فهد شريباتي	عضو هيئة التحرير
د. معن سلامة	عضو هيئة التحرير
د. جمال العلي	عضو هيئة التحرير
د. عباد كاسوحة	عضو هيئة التحرير
د. محمود عامر	عضو هيئة التحرير
د. أحمد الحسن	عضو هيئة التحرير
د. سونيا عطية	عضو هيئة التحرير
د. ريم ديب	عضو هيئة التحرير
د. حسن مشرقي	عضو هيئة التحرير
د. هيثم حسن	عضو هيئة التحرير
د. نزار عيشي	عضو هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور عبد الباسط الخطيب

رئيس جامعة البعث

المدير المسؤول عن المجلة

تهدف المجلة إلى نشر البحوث العلمية الأصيلة، ويمكن للراغبين في طلبها الاتصال بالعنوان التالي:

رئيس تحرير مجلة جامعة البعث

سورية . حمص . جامعة البعث . الإدارة المركزية . ص . ب (77)

. هاتف / فاكس : 2138071 31 963 ++

. موقع الإنترنت : www.albaath-univ.edu.sy

. البريد الالكتروني : magazine@ albaath-univ.edu.sy

ISSN: 1022-467X

قيمة العدد الواحد : 100 ل.س داخل القطر العربي السوري

25 دولاراً أمريكياً خارج القطر العربي السوري

قيمة الاشتراك السنوي : 1000 ل.س للعموم

500 ل.س لأعضاء الهيئة التدريسية والطلاب

250 دولاراً أمريكياً خارج القطر العربي السوري

توجه الطلبات الخاصة بالاشتراك في المجلة إلى العنوان المبين أعلاه.

يرسل المبلغ المطلوب من خارج القطر بالدولارات الأمريكية بموجب شيكات باسم جامعة البعث.

تضاف نسبة 50% إذا كان الاشتراك أكثر من نسخة.

شروط النشر في مجلة جامعة البعث

الأوراق المطلوبة:

- 2 نسخة ورقية من البحث بدون اسم الباحث / الكلية / الجامعة) + CD / word من البحث منسق حسب شروط المجلة.
- طابع بحث علمي + طابع نقابة معلمين.
- **اذا كان الباحث طالب دراسات عليا:**

يجب إرفاق قرار تسجيل الدكتوراه / ماجستير + كتاب من الدكتور المشرف بموافقته على النشر في المجلة.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية:**

يجب إرفاق قرار المجلس المختص بإنجاز البحث أو قرار قسم بالموافقة على اعتماده حسب الحال.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية من خارج جامعة البعث :**

يجب إحضار كتاب من عمادة كليته تثبت أنه عضو بالهيئة التدريسية و على رأس عمله حتى تاريخه.

- **اذا كان الباحث عضواً في الهيئة الفنية :**

يجب إرفاق كتاب يحدد فيه مكان و زمان إجراء البحث , وما يثبت صفته وأنه على رأس عمله.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (العلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية):**

عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1- مقدمة

2- هدف البحث

3- مواد وطرق البحث

4- النتائج ومناقشتها .

5- الاستنتاجات والتوصيات .

6- المراجع.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (الآداب – الاقتصاد– التربية – الحقوق – السياحة – التربية الموسيقية وجميع العلوم الإنسانية):**
- عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1. مقدمة.
2. مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه.
3. أهداف البحث و أسئلته.
4. فرضيات البحث و حدوده.
5. مصطلحات البحث و تعريفاته الإجرائية.
6. الإطار النظري و الدراسات السابقة.
7. منهج البحث و إجراءاته.
8. عرض البحث و المناقشة والتحليل
9. نتائج البحث.
10. مقترحات البحث إن وجدت.
11. قائمة المصادر والمراجع.

7- يجب اعتماد الإعدادات الآتية أثناء طباعة البحث على الكمبيوتر:

أ- قياس الورق 17.5×25 B5.

ب- هوامش الصفحة: أعلى 2.54- أسفل 2.54 – يمين 2.5- يسار 2.5 سم

ت- رأس الصفحة 1.6 / تذييل الصفحة 1.8

ث- نوع الخط وقياسه: العنوان . Monotype Koufi قياس 20

. كتابة النص Simplified Arabic قياس 13 عادي . العناوين الفرعية Simplified Arabic قياس 13 عريض.

ج . يجب مراعاة أن يكون قياس الصور والجداول المدرجة في البحث لا يتعدى 12سم.

8- في حال عدم إجراء البحث وفقاً لما ورد أعلاه من إشارات فإن البحث سيهمل ولا يرد البحث إلى صاحبه.

9- تقديم أي بحث للنشر في المجلة يدل ضمناً على عدم نشره في أي مكان آخر, وفي حال قبول البحث للنشر في مجلة جامعة البعث يجب عدم نشره في أي مجلة أخرى.

10- الناشر غير مسؤول عن محتوى ما ينشر من مادة الموضوعات التي تنشر في المجلة

11- تكتب المراجع ضمن النص على الشكل التالي: [1] ثم رقم الصفحة ويفضل استخدام التهميش الإلكتروني المعمول به في نظام وورد WORD حيث يشير الرقم إلى رقم المرجع الوارد في قائمة المراجع.

تكتب جميع المراجع باللغة الانكليزية (الأحرف الرومانية) وفق التالي:

آ . إذا كان المرجع أجنبياً:

الكنية بالأحرف الكبيرة . الحرف الأول من الاسم تتبعه فاصلة . سنة النشر . وتتبعها معترضة (–) عنوان الكتاب ويوضع تحته خط وتتبعه نقطة . دار النشر وتتبعها فاصلة . الطبعة (ثانية . ثالثة) . بلد النشر وتتبعها فاصلة . عدد صفحات الكتاب وتتبعها نقطة.

وفيما يلي مثال على ذلك:

–MAVRODEANUS, R1986– **Flame Spectroscopy**. Willy, New York, 373p.

ب . إذا كان المرجع بحثاً منشوراً في مجلة باللغة الأجنبية:

. بعد الكنية والاسم وسنة النشر يضاف عنوان البحث وتتبعه فاصلة, اسم المجلد ويوضع تحته خط وتتبعه فاصلة . المجلد والعدد (كتابة مختزلة) وبعدها فاصلة . أرقام الصفحات الخاصة بالبحث ضمن المجلة.

مثال على ذلك:

BUSSE,E 1980 Organic Brain Diseases **Clinical Psychiatry News** , Vol. 4. 20 – 60

ج. إذا كان المرجع أو البحث منشوراً باللغة العربية فيجب تحويله إلى اللغة الإنكليزية و التقيد

بالبنود (أ و ب) ويكتب في نهاية المراجع العربية: (المراجع In Arabic)

رسوم النشر في مجلة جامعة البعث

1. دفع رسم نشر (20000) ل.س عشرون ألف ليرة سورية عن كل بحث لكل باحث يريد نشره في مجلة جامعة البعث.
2. دفع رسم نشر (50000) ل.س خمسون الف ليرة سورية عن كل بحث للباحثين من الجامعة الخاصة والافتراضية .
3. دفع رسم نشر (200) مئتا دولار أمريكي فقط للباحثين من خارج القطر العربي السوري .
4. دفع مبلغ (3000) ل.س ثلاثة آلاف ليرة سورية رسم موافقة على النشر من كافة الباحثين.

المحتوى

اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
الاستعمار و البدائية و العنصرية في رواية (حماقة ألماير) ل جوزيف كونراد	الدكتور: ابراهيم السماعيل	40-11
اكتساب مهارة القراءة عند الأطفال باللغة الفرنسية بوصفها لغة أجنبية	الدكتورة: اعتدال حبيب	64-41
الشاعر الغراب مأساته وغربته في الشعر الجاهلي	أ.د. جودت إبراهيم بسام أحمد المجدل	98-65
أنسنة المعنويات في شعر الأغربة في العصر الجاهلي	أ.د. جودت إبراهيم بسام أحمد المجدل	126-99

الاستعمار و البدائية و العنصرية في رواية (حماقة ألماير) ل جوزيف كونراد

الدكتور: ابراهيم السماعيل

قسم اللغة الانكليزية – كلية الآداب – جامعة البعث

ملخص

يتناول هذا البحث موضوعات الاستعمار و العنصرية و البدائية في رواية جوزيف كونراد (حماقة ألماير). ألماير هو مستعمر أبيض يتزوج من امرأة مالاوية و هي ابنة لينغارد و التي تنجب له ابنة يسميها نينا و هي مزيج من اللونين الأبيض و الأسمر. يعاني ألماير من لون ابنته و يرسلها الى سنغافورة ليتم تربيتها على الطريقة الأوربية بعيدا عن "الشعب البدائي." ألماير عنصري يؤمن بأن ابنته يجب أن تتزوج رجلا أبيضا و ليس رجلا "متوحشا". إنه ضحية الوهم بأن القيمة المالية هي الوحيدة التي تكمل طريق الوقار و الاحترام. لقد ورث من عائلته البرجوازية انحيازه العنصري. إن هدفه هو الحصول على ثروة في جزر الإندز الشرقية تحت السيطرة الهولندية ليجبر المجتمع الأرستقراطي في هولندا على تقبل احترام ابنته نينا. كذلك نجده يريد أن يحصل على ثروة ضخمة من التجارة مع أهل البلد الذين يحتقرهم. و يسحره رنين العملة الفضية عندما يقوم الموظفون الصينيون بعدها. أهل البلد بدائيون و هو يكره لونهم: يمثل ألماير العالم الغربي بصورته المبتذلة عن الوحوش و من جهة أخرى هناك نينا و التي تثبت حالتها الاجتماعية من قبل أصولها في العالم الثالث.

كلمات مفتاحية: الاستعمار, العنصرية, البدائية, حماقة ألماير, انحياز عنصري, أمير ملاوي, الوحوش, الطبيعة المتوحشة.

Colonialism, Primitivism and Racism in Conrad's *Almayer's Folly*

Abstract

This research explores the themes of colonialism, primitivism and racism in Conrad's *Almayer's Folly*. Almayer is a white colonizer who comes from Holland and marries a Malay girl, the daughter of Lingard, and gets Nina who is half-breed. He suffers because of her color and sends her to be brought up in Singapore far from the primitive people. Almayer is a racist who believes that his daughter must marry a white man not a savage man. Almayer is the victim of the illusion that material value alone constitutes the way of dignity and accomplishment. From his" burgeois" family he also inherits his racial prejudice. His aim is to make a fortune in the Dutch East Indies to compel the aristocratic society of his home country, Holland, to accept and even do homage to his half-breed daughter Nina. His dreams of immense wealth are to be gained through trade with the natives whom he scorns. He is charmed by the clink of silver guilders being counted by the Chinese clerks. The natives are seen to be primitive and he hates their color. Almayer represents the Western World and its stereotyped image of the "savage". On the other hand, there is Nina, whose social status is fixed by the Third World origins.

Key words

Colonialism, racism, primitivism, *Almayer's Folly*, social prejudice, Malay prince, savages, savage nature.

Colonialism, Primitivism and Racism in Conrad's *Almayer's Folly*

This research explores the themes of colonialism, primitivism and racism in Joseph Conrad's *Almayer's Folly.* *Almayer's Folly* describes the failure of Almayer due to a defect of character as well as economic and political forces. His colonial upbringing is the root cause of his confusion concerning dream and reality, power and authority. Also at the root of his failure is his inability to grasp the cultural and historical displacement that distorts his aspirations. *Almayer's Folly* deals with the conflicting psychologies of the native Malays and Europeans and of wealth and dream. The world in which Almayer dreams of living is the antithesis of the one in which he now lives which is a world of darkness, savagery, and ignorance. It is a world quite different from the civilized European one. Andrea White, for example, grapples with the matter by saying: "Conrad's first two novels-- *Almayer's Folly* and *An Outcast of the Islands—The Rescue*, many of his early stories, *Lord Jim*, and *Victory*, depict the complex and competing racial and cultural relations of native Dyaks, immigrant Chinese, Malay sultans, Arab rajahs, and Dutch and English traders."(187). Also, George A. Panichas states that "Conrad's novels are in the end great meditations on the condition of life ."(vii)

Almayer builds a house hoping to receive the British colonizers in it. But when he learns that they are not coming, he stops building it. People nickname the house "Almayer's Folly." Almayer is a failure in his homeland and he is sent outside so he may earn his living and get some money for his marriage. Edward Said states,"various colonial possessions, apart from their economic benefit to metropolitan Europe, were useful as places to send

wayward sons…poor people and other undesirables."(*Orientalism* 12).

Conrad analyzes the deterioration of the European civilization among the white colonialists that were isolated in the jungle of the tropics. The "colonymania" of lordship is what Almayer suffers from . His dreams of eventually inheriting Captain Lingard's wealth and finally settling down in a mansion in Amsterdam are expressed as follows:

> The consideration, the indolent ease of life-for which he felt himself so well-fitted –his ships, the warehouses, his merchandise… and crowning all, in the far future gleamed like a fairy palace the big mansion in Amsterdam, that earthly paradise of his dreams, where , made king amongst men by old Lingard's money, he would pass the evening of his days in inexpressible splendor."(Conrad 10).

Almayer has been the victim of the illusion that material value alone constitutes the way of dignity and accomplishment. From his bourgeois family he also inherits his racial prejudice.

Almayer's father's attitude was identical to that of the colonialists who were either administrators or supervisors. I think they never worked or showed an example of what had to be done as far as mental work was concerned. They would stand with their colonial helmets, a stick, or a whip in their hands, ready to strike at any worker trying to have fresh air. One should think they were shepherds guarding sheep most of the time, the so-called supervisors assigned the supervision to a native, commonly known in as (foreman), entrusted with authority for whipping and reporting everything to the white man. If there were no reports, the foreman was a liar who would be whipped. At noon, all the white men-officers, workers, engineers, or whatever-had to go home for lunch

and a nap, while the natives kept working. For two hours no native could walk in the European residential area. Not a sound could be heard. It is colonization and racism at the same time.

Kasper Almayer was born in a world of privilege and "the indolent ways of life-for which he felt himself so week-fitted"(Conrad 10). Used to being served, Almayer, as his mother, abandons himself to his dreams. For Almayer, it is the dream of living rich and respected in Europe with his daughter Nina. To reach his goal he has to find the gold mine. All his thoughts "were often busy with gold, gold he had failed to secure , gold the others had secured-dishonestly , of course—of gold he meant to yet secure, through his own honest exertion, for himself and Nina(Conrad 1).

Almayer is not alone in his search for treasure or wealth. Most white men in the novel are obviously in pursuit of selfish material ends, principally economic interest. They seek to attain this at the expense of the natives, whom they totally ignore. The European white men suffer in the colonies. Edward Said observes that "Not only were immense hardships endured by the colonizers, but there was always the tremendously risky physical disparity between a small number of Europeans at a very great distance from home and the much larger number of natives on their home territory"(*Culture and Imperialism* 10).

Lingard, whom we meet early in the novel, is a pirate who has annihilated a whole tribe of natives in search of gold mines and business profits. Hudig, the owner of a commercial hall full of "gin cases and bales of Manchester goods" debases the very workers, "Chinese, neat, cool, and sad-eyed" (Conrad 7), who make his business prosper. Mr. Vinck, the "Cashier, the genius presiding in the place, the right hand of the Master "turns a blind eye on every native worker and clerk, including Almayer. All he sees are "the guilders" that will provoke Almayer's heartburn (Conrad 7).

Thus, it is among these people that Almayer has spent most of his life, a people who came from Europe "to woo fortune in the godowns of Hudig" (Conrad 2). They all share one goal: amass wealth and die happily in Europe. And what is the part of the natives in these activities? none, if not that of serving.

Almayer's ambition, according to Osborn Andreas, is "to make a fortune in the Dutch East Indies so large that it would enable him to compel the aristocratic society of his home country, Holland, to accept and even do homage to his half-breed daughter Nina"(5). Almayer's dreams are of immense wealth to be gained through trade with the natives whom he scorned. While he dreams of conquering the world, he is intoxicated by the material wealth of the place. Above all, he is charmed by the discreet and continuous clink of silver guilders being counted by the Chinese clerks.

Lingard, perceiving Almayer's weakness, and noting that he is being seduced by Hudig's possessions, offers him his adopted daughter, the little girl he took when he killed her parents during his piratical search for his gold on the river Sambir. For Almayer, this poses the possibility of inheriting Lingard's immense wealth because the girl is presumed to be his sole heir. By marrying Lingard's daughter, Almayer would automatically become Lingard's business partner (Conrad 10).

Lured by flattery, Almayer leaves Hudig to work for Lingard. With Lingard, as John H. Hicks puts it, "Almayer is soon entangled in a maze of grandiose and individual allegiances-created by the moral pretensions and false assumptions that typify Lingard's charity"(20).

Almayer sees in that offer a fulfillment of his dreams, but how could he marry a primitive Malay girl, a "legacy of a boastful

of pirates"? (Conrad10). He hesitates. Anticipating his reaction and knowing his racial prejudice, Lingard tells Almayer:

> And don't you kick because you're white! None of that with me! Nobody will see the color of your wife's skin. The dollars are too thick for that, I tell you! And mind you, they will be thicker yet before I die. There will be millions, Kaspar! Millions, I say! And all for her---and for you, if you do what you are told (Conrad 10).

Startled by the unexpected proposal, Almayer thrills. He sees in the proposal the crowning of his imagination. He sees a bright future and dreams of palaces in the paradise of Amsterdam. The obstacle, if any, remains that "primitive girl." He remains confused, as the narrator tells us:

> There was only within him a confused consciousness of shame that he, a white man-still, a convent education of four years—and then she may mercifully die. He was always lucky, and money is powerful. Go through it. Why not? He had a vague idea of shutting her up somewhere, anywhere, out of his gorgeous future. Easy enough to dispose of a Malay woman, a slave after all, to his Eastern mind, convent or not convent, ceremony or no ceremony (Conrad *10-11*).

As he decides to go for both, Lingard makes him more than a business man partner. He becomes his son, and Lingard even asks Almayer to call him father: "Call me father, my boy, she does" (Conrad 11).

Lingard's bribery of Almayer soon melts away. His fortune disappears in bankruptcy because of Arab competition. He vanishes

in England while attempting to raise capital to develop a gold mine which he has discovered in the interior of Borneo.

When the novel opens, Almayer is already a defeated man who refuses to accept his defeat. He dreams of old Lingard's treasure and will not face the reality of his sordid existence. He only sees wealth in his future. He "absorbed himself in his dreams of wealth and power away from this coast where he had dwelt for so many years, forgetting the bitterness of toil and strife in the vision of a great and splendid reward" (Conrad 5). And when the story opens, only three possessions are left in Lingard's house that shows without precision the approximate location of the gold mine, and a partly completed pretentious house named Almayer's Folly.

The consuming passion with which Almayer desires the stamp of social acceptance in spite of his act of miscegenation causes him to overreach himself to such an extent that he defeats his own purposes. The risks he runs, ostensibly to gain wealth for his daughter, are so great that he loses both daughter and wealth . The miscalculations which ruin him are rooted in his guilt feelings at having married a Malay woman. His judgment is undermined by his own overweening ambition. He wants to gain a place of dignity "beyond the pale of which he felt his marriage to a Sulu woman had cast him (Andreas 8). His folly leaves him a permanent resident of Sambir, a place where expediency, sensuality, and self-interest flourish. His only consolation in Sambir is his daughter Nina.

Educated in an English school, boarded and roomed in an English family home there, dressing and talking like a member of the white race, Nina is his pride and his only joy. Almayer convinces himself that "nobody would think of her mixed blood in the presence of her great beauty and of his immense wealth"(Conrad 5). Because of her, "he would grow young again and would forget

the twenty-five years of heart breaking struggle on the coast where he felt like a prisoner"(Conrad 5). Almayer appears satisfied at the apparent accumulation of his daughter.

Indeed, at the age of six, Nina had been taken away from her parents to be educated in Singapore by the Vincks, a bourgeois family settled in India. But away from home, Nina's life was made miserable by young men and her educating guardians. The former wanted to court her, the latter despised her because of her mixed parentage. One of the guardians talked to Almayer in these terms:

> You know, Kasper …it is decidedly awkward to have a half-caste girl in the house. There's such a lot of fools about. There was that young fellow from the bank who used to ride to the Vinck's bungalow early and late…Fact is, I heard of this affair and took the girl to my wife…and upon my word we would have kept the girl for you, only she would not stay. Now then! Don't flare up Kaspar. Sit still. What can you do? Let her stay with you; she was never happy over there. Those two Vinck girls are no better than dressed up monkeys. They slighted her. You cannot make her white.(Conrad 26).

Here we see a white man questioning the wisdom of depriving a child of parental guidance, nurture, and instruction in favor of Western civilization. Those who are in the system are not better than those coming from inter-racial marriages, or simply from the primitive milieu. Nina is described by her guardian as a good girl: "She is a good girl for all" (Conrad 26). But for Kaspar Almayer, her coming back home meant a refusal to get "civilized," it does not take him long to explode in anger at seeing that all his efforts had been futile. He says to Nina:

> You stand there as if you were only half alive and talk to me…as if it was a matter of no importance…you never cared, you saw me struggle, and work, and strive, unmoved, and my suffering you could never see. No, never. You have no heart, and you have no mind or you would have understood that it was for you, for your happiness I was working. I wanted to be rich. I wanted to get away from here. I wanted to see white men bowing low before the power of your beauty and your wealth. Old as I am I wished to seek a strange land , a civilization to which I am a stranger…(Conrad 80).

In fact Nina's father blames her for not being obedient. She does not care too much for her father's ideal world. It is a world he has never seen except in dreams and imagination, as he once told Nina: "I myself have not been to Europe, but I have heard my mother talk so often that I seem to know all about it. We shall live a …glorious life. You shall see"(Conrad 16). Nina feels that her father is oblivious to her natural feelings and desires. She is ignored as her mother had been; her father does not even ask her what happened in Singapore. He could not infer any wrongdoing from a socially superior family such as the Vincks. Noticing this lack of superior conversation between father and daughter, Mrs. Almayer begins her work of indoctrination. Here, Conrad is introducing the reader to the world of primitivism, she instructs Nina in tribal tradition, the heroic deeds of her kinsmen before the white man, their past glories, how she, the mother, has come from a royal family. The teaching slowly causes Nina to see herself as closer to her mother than to her father. She starts joining the primitive world of her mother, forgetting her Western heritage and education. As the narrator puts it:

> Nina, brought under the Protestant wing of the proper Mrs. Vinck, had not even a little piece of brass to remind her of her past teaching. And listening to recital of those savage glories, those barbarous fights and savage feasting, to the story of deeds valorous, albeit somewhat bloodthirsty, where men of her mother's race shone far above the Orang Blands, , she felt herself irresistibly fascinated, and saw with vague surprise the narrow mantle of civilized morality, in which good-meaning people had wrapped her young soul, fall away and leave her shivering as if on the edge of some deep and unknown abyss (Conrad 35).

Nina sees, in her mother's stories, the antithesis of her father: valiant men, brave warriors, men of high probity and honor who are responsible, respectable, and faithful—all that her father is not. She is fascinated by those barbaric tales, but though she likes to hear those stories , she is not totally involved in the primitive life of her mother and kinsman. She splits her days between her father's house and her mother's, and she does not totally belong to silent community. This is Conrad's way of introducing the cultural antithesis between Western and Malayan civilization. Nina feels no clear distinction between the two groups, as we read in the following passage:

> It seemed to Nina that there was no change and no difference. Whether they traded in brick godowns or on the muddy river bank; whether they reached after much or little, whether they made love under the shadows of the great trees or in the shadow of the cathedral…Nina saw only the same manifestation of love and hate and of sordid greed chasing the uncertain dollar in all its multifarious and vanishing shapes. (Conrad 36).

Nina ,then , perceives no difference in the feelings of love and hate between Europeans and Malays. She is basically in a kind of balance, a coexistence, between the civilized world of her father and the primitive world of her mother. They are all greedy, they are all after money they all do things alike. His attitude once pushed the mother and Babalatchi to say, "Nina is half-white…she is like a white woman and knows no shame"(Conrad 100).

The event that shifts Nina totally to the "Primitive" side is the coming of a young Malay prince who appeared as a rich intinerant, followed by a piratical crew and a lot of ships. She sees in him the personification of her mother's teaching, that is to say, the type of chivalric, intrepid man her mother has described. From then on she prefers Malays because they seemed less blind in the presence of the forces of love and evil, money and family, and finally, less hypocritical "to the polite disguise , to the virtuous pretences" of the white man(Conrad 55).

Once opportunity opens with Dain, Mrs. Almayer overtly tells her daughter:

> Give up your old life! Forget that you ever looked at a white face : forget their words, forget their thoughts. They speak lies. And they think lies because they despise us that are better than they are…Forget their friendship and their contempt, forget their gods. Girl, who do you want to remember the past when there is a warrior and a chief ready to give many lives –his own life—for one of your smiles? (Conrad 119).

Here, Mrs. Almayer rejects the world of the Vincks, their system of values. At the same time she avenges her own suffering at the hands of Captain Lingard and her husband, Mr. Almayer.

Descendant from a royal family, she can only encourage her daughter to go with Dain.

Defying her father and dreaming how she would be the wife of a great Raja, Nina submits herself to the advances of Dain, whom she instantly recognizes as the ideal Malay chief of her mother's tradition. She feels that "the bold-looking being who speaks burning words into her ears is the embodiment of her fate , the creature of her dream." She sees Dain as reckless and ferocious. She feels that her life has meaning in his presence. Her father, however, sees him exclusively as a business partner with whom to share profit and go to Europe "into the great white clouds away to the westward, where the paradise of Europe was awaiting the future Eastern millionaire (Conrad 51).

Almayer innocently accepts Dain as his last hope for happiness after Lingard leaves Sambir. He anxiously awaits Dain's return. The latter has arrived unexpectedly on the scene in command of a trading vessel. The arrival was opportune for Almayer who was seeking a means of transportation to the probable location of the gold mine and'the treasure.' As Stephan K. Land states, Dain "is to be Almayer's passport to Europe"(18).

Dain proves friendly to Almayer, but he requires that Lakamba, a local ruler who hates the white colonialists and who is an enemy of Almayer's, be made party to the undertaking. He also requires that the three cooperate in a profitable, but illegal, deal in gunpowder. The character of Lakamba is introduced to remind the white man that distrust in mutual. By rallying to the group, Almayer plunges further into the deep troubles from which he wishes to escape. The agreement brings bad luck to Almayer because Babalatchi, one of Lakamba's ministers, plots constantly against Almayer. Their alliance draws the attention of the Dutch colonial authorities who are in the process of pacifying and

subjugating the area. Dutch Naval officers, suspecting Almayer, lead an inquiry into his affairs.

All the members of this wretched alliance are, in one way or another , undermining Almayer's efforts. A man like Lakamba represents the least impressive aspect of Malay culture, much as Almayer exhibits some of the least desirable characteristics of Western man. Lakamba , a former warrior and adventurer, has become Raja of Sambir by intrigues, crimes, and accident. He is as rapacious and unscrupulous as Almayer. The point the narrator tries to bring out here is that adventurous people are found in both cultures.

Finally, this alliance intensifies the paradox of Almayer's situation. His last effort to control his fate fails in the hands of adversity. The man in whom he places his ultimate hope ceases to be his potential savior and becomes his executioner or tormentor by stealing his only beloved daughter, Nina.

In fact, it never occurs to Almayer that his daughter could fall in love with anyone but a white man. When he discovers the truth later, he gets shocked and angry. He roars at his daughter in these terms" what made you give yourself to that savage, for he is a savage. Between his and you there is a barrier that nothing can remove" (Conrad 140). And in his wrath , Almayer vows that he will never forgive her for falling in love with a "wretched Malay". Nina responds to her father:

> What is there to forgive?...Can I not live my own life as you have lived yours? The path you would have wished me to follow has been closed to me by no fault of mine.
>
> "you never told me" muttered Almayer.

> "you never asked me," she answered. "and I thought you were like the others and did not care. I bore the memory of my humiliation alone…I knew you could not avenge me."(Conrad 140).

Nina , whose education ends in an outburst of contempt from whites , is torn between a sincere affection for her father and a fascination with the savage ravings of her mother . Nina does not love her father :"I love you no less than I did before." But she sees in Dain the promise of life and in the sterile dreams of her father captivity and death, as she says to her father: "I mean to live. I mean to follow him…I shall never leave him, for without him I cannot live"(Conrad 141). Nina wishes to escape with Dain to a land unpolluted by white men. While her father dreams of wealth and Europe , she dreams of leaving him behind, and her dreams are inevitably the destruction of his. Nina's love for Dain is to a point , mysticised, she practically worships him. The narrator tells us that "she was thinking already of moulding a god from the clay at her feet . A god for others to worship"(Conrd 135-136).

In worshipping Dain, Nina is transferring her father's feelings for her to Dain. Surah Raval comments that: "She was unintentionally aiming her father's attitudes toward her, a touch of his hyperbolic imagination"(12). During her dispute with her father concerning Dain, she says:"I shall make him great, His name shall be remembered long after both our bodies are laid in the dust" (Conrad 110). Here the reader clearly understands that she is unconsciously repeating her father's wishes about her, another Almayer's Folly, a folly of imagination (Raval 12).

In the novel, a dualism is created from the antithesis and confrontation between European and Malayan cultures. *Almayer's Folly* focuses on the contrasting movements of Nina, Almayer, and Mrs. Almayer. Trapped in Borneo, Almayer suggests increasingly

to esape to Europe, while his daughter, having received a poor impression of European ways, returns to the remote Sambir where she finally identifies herself with natives, and especially, the primitive ways of her mother.

In this novel, Conrad contrasts the values of the decayed Western world, represented by a greedy and materialistic Almayer, with the primitive integrity and unrestrained savagery of the jungle , embodied in Mrs. Almayer. Indeed , Mrs. Almayer, the savage woman, burns Almayer's civilized furniture to return to her traditional mat :"She was burning the furniture and tearing down the pretty curtain in her unreasoning hate of those signs of civilization'(Conrad 15). Under Lingard's influence , she was placed at odds with her native people and yet was never successfully absorbed into the Western community in which Lingard and Almayer moved. Christian ideals, despite her convent training, remained foreign and incomprehensible to her. She was bewildered by the Christian theories of love and tolerance which were taught, but not practiced, at the convent; "She learned the language very easily, but understood but little of the new faith the good sisters taught her, assimilating quickly only the superstitious elements of the religion"(Conrad 13). This is Conrad's way of asserting the failure of colonial endeavors through Mrs. Almayer. Her marriage , despite her vows, provided her with neither a loyal partner nor any incentive to build the loyalties. Resentful of these disappointments, she turned informer against Lingard and Almayer to help Lakamba, a Malay trade competitor who enlisted her for his profit and his pleasure when she was neglected by Almayer. Her search for a coherent purpose in her life, suspended between white and Malay world, ended in frustration(Hicks 30). Deceived and abandoned, she had no alternative but to return to her ancestral ways, her native heritage: "Primitivism." Peter D. O' Connor writes "We can regard Mrs. Almayer as a symbol of native –physically dark,

uncontrollable, timid"(231). Mrs. Almayer functions in the novel as the point of cultural clash and as the silent voice of the Third world , rather like Babo in "Benito Careno". She is sexually ignored by Lingard, used and abused as a plaything by Almayer, merely a pastime before his triumphant return to Europe.. Relating her miseries to her daughter, she once told her:"I was a slave, and you shall be a queen"(Conrad 117).

The most illustrative case showing how she was ignored occurred when Tom Lingard dragged Nina to Singapore without forewarning or advising Mrs. Almayer. Almayer thought about sending his daughter to the Vincks. He feared his wife's reaction and thought:

> She will poison me, thought the poor wretch well aware of that easy and final manner of solving the social, political, and family problems in Malay life.
>
> To his great surprise she took the news very quietly, giving only him and Lingard a future glance , and saying not a word. This, however, did not prevent her next day from jumping into the river and swimming after the boat in which Lingard was carrying away the nurse with the screaming child…yet after two days spent I wailing, she returned to her former mode of life, chewing nut, and sitting all day amongst her women in stupefied idleness.(Conrad, 23-24).

Besides describing Mrs. Almayer's reactions , the narrator is also alluding to her emotional side, which is characteristic of the uncivilized mind. Her reaction is purely instinctive, and animal-like:no arguing, no reasoning. She also quickly forgets as would an animal.

Primitive sensuality comes through over and over in her speech. She once told Nina: "remember men's strength and their weakness. Tremble before his anger, so that he may see your fear in the light of the day, but in your heart you may laugh, for after sunset he is your slave"(Conrad 93). The last part of this citation is an explicit allusion to the manipulative power of sensual behavior. Also Mrs. Almayer's alliance with Lakamba is described by the narrator as treacherous and immoral.

Described as worshipping treasure and money, Mrs. Almayer also symbolizes the victim of Western materialistic corruption. Another motive for encouraging Nina to marry Dain, besides their cultural similarities, is the possibility of making a lot of money for herself. The narrator reports that one night Nina gets surprised to find her mother engaged in counting money:

> She saw Mrs. Almayer had deserted the pile of mats serving her as bed in one corner of the room, and was now bending over the opened lid of her large wooden chest. Half a shell of coconut filled with oil, where a cotton rag floated for a wick, stood on the floor, surrounding her with a ruddy halo of light shining through the black and odorous smoke. Mrs. Almayer's back was bent , and her head and shoulders hidden in the deep box. Her hands rummaged in the interior, where a soft clink as of silver money could be heard. She did not notice at first her daughter's approach, and Nina, standing silently by her, looked down on many little canvas bags ranged in the bottom of the chest, where from her mother extracted handfuls of shining guilders and Mexican dollars, letting them stream slowly back again through her claw-like fingers. The music of tinkling silver seemed to delight her, and her eyes sparkled with the reflected gleam of freshly minted coins. She was muttering to herself. "And this, and

> this, and yet this ! soon he will give more—as much more as I ask. He is a great Raja –a son of Heaven. And she will be a Ranee—he gave all this for her?"(Conrad 53-54).

Besides her passion for love, description hints at the savage nature and savage belongings of Mrs. Almayer. Words such as "mats," " wooden chest," "shell of coconut," "cotton rag," "black and odorous," "her claw-like fingeres" suggest a rude, uncivilized character and setting. The alliteration is suggestive of the clinking sound made by the coins, a pleasant sound to the "primitive" mind that likes cacophonies or music.

Mrs. Almayer, also, dreams of wealth and influence; ironically, she achieves her goal while Almayer fails. So, primitive or civilized, man shares the same needs. Mrs. Almayer stands as a symbol of Almayer's inability to cope with natives, to overcome the savage necessities of his existence.

Primitivism in the novel is also represented by the savage union "of mutual understanding passing between…two savage natures," those of Dain and Nina. H. M Daleski comments that:

> In *Almayer's Folly*, passion is seen as a matter of unrestraint, and freedom from trammeling inhibition of equated with savagery. When Dain declares his love to Nina in 'burning words' he is said to give up to her "the whole treasure of love and passion his nature is capable of; the inhibited self, indeed, is a lost self, for while Dain speaks, Nina abandons herself to a feeling of dreamy happiness. Conrad may be describing here the love of a man and a woman, but the stakes are civilization and savagery. The implicit view here of a self-possessed restraint as a mark, almost an index, of civilization is one that Conrad will be led to modify somewhat in his presentation of Marlow's cannibal crew in *Heart of Darkness*.(20-21).

To understand primitivism , we must understand Nature. Nature in *Almayer's Folly* functions as a primitive and savage environment. The Sambir river with its " mud soft and black, hiding fever,,, rottenness , and evil under its level and glazed surface," prefigures the river Congo in *Heart of Darkness*. Under these jungles of Pantai and Congo lie idyllic cultures in a state of innocence, the atavistic influence it casts upon white men. The savage nature is brought to climax in the several encounters between Dain and Nina in the jungle. Much like the forest in *The Scarlet Letter*. All of nature participates in the action, as the text reveals:

> Earth , river, and sky were wrapped up in a deep sleep from which it seemed there would be no waking. All the seething life and movement of tropical nature seemed concentrated in the ardent eyes , in the tumultuously beating hearts of the two beings(Conrad 69).

The narrator continues:

> …with a rhythmical swing of their bodies they walked through the light towards the outlying shadows of the forests.(Conrad 136).

The image of nature is overstated and overdrawn in the above passage. What Dain ad Nina are doing is being transferred onto nature. Their passion is described as violent, inferring the nature of a savage love.

The river Pentai also has its function. It bears a direct symbolic relationship to Almayer's story. As the novel opens, Almayer, engrossed in his dreams of wealth and power looks at the river which flows past his house:

> There was no tinge of gold on it this evening, for it had been swollen by the rains, and rolled an angry and muddy flood under his inattentive eyes, carrying small driftwood and big dead logs , and whole uprooted trees with branches and foliage, amongst which the water swirled and roared angrily.(Conrad 5-6).

The description speaks for itself. The flood does not merely irrigate or inundate; it is an irresistible current that sweeps away everything its path. It uproots s and carries away trees in the same way that Almayer's force uproots his wife and daughter in a cultural sense. The river rushes headlong past Almayer's house to the ocean, the way Dain Maroola carries Nina to the Ocean before Almayer's very eyes. The river is a symbol of active and realistic life—sometimees cruel, sometimes gentle (Boylee 31).

Paul L. Wiley suggests that *Almayer's Folly* is influenced by Conrad's reading of Falubert's *Madame Bovary*(28). The point I am trying to make here is that Conrad, as Allan Hunter demonstrates, is indebted to his public , which in turn was influenced by Charles Darwin and Henry Drumond, these two scientists are known for their theories of race that claim superiority of the white race over the rest. But Baudelaire, who Conrad profoundly admired, wrote that a poet should be above his audience(Wiley 28). Conrad does not seem to have adopted such an attitude in *Almayer's Folly* and *Heart of Darkness.*

Finally, *Almayer's Folly*'s main theme is that of a colonialism that ignores the otherness, the possessors, and the owners of the land and the wealth. The novel is Conrad's mockery of the Western arrogance that underestimated other cultures. Primitivism is one of the characteristics of the Malay society and people . Racism is one of the characteristics of the colonizers . They look down at the natives, their customs and traditions. The white

colonizers see themselves as superior to the black. Another point is the paradox of the mulatto in modern society. In fact *Almayer's Folly* is significant for confronting the perplexity and the complexity of children born of interracial marriages. Often those children are rejected by those groups. In the novel, Babalatchi speaks of Nina as a white girl without decency(Conrad 77)

Conrad focusses in *Almayer's Folly* on the dilemma of mulatto who are often rejected by their white fathers. But Almayer's adoration of his daughter is one of his great qualities in the novel. He considers Nina to be white to the point that he refuses to deliver Dain to the Dutch authorities for fear that they will discover a white girl going with a savage, "No. it cannot be…white men finding my daughter with this Malay" (Conrad 112).

Works Cited:

Andreas, Osborne. *Joseph Conrad:A Study in Non-Conformity*. N p:ArchonBooks, 1969.

Boylee, Ted E. *Symbol and Meaning in the Fiction of Joseph Conrad.* The Sague: Nouton, 1965.

Conrad, Joseph. *Almayer's Folly*. London: Everyman, 1995.

Daleski,H.N. *Joseph Conrad: The Way of Dispossession.* New York: Holmes and Meeeeier,1977.

Hicks , John H. "Conrad's Almayer's Folly, Structure, theme, and Critics." *Nineteenth Century Fiction* 19(1964):17-31.

Land, Stephen K. *Conrad and the Paradox of Plot.* London: Macmillan, 1984.

O'Conner, Peter D. "The Function of Nina in Almayeer's Folly." In *Conradiana* 7 (1975): 225-232.

Panichas, George A. *Joseph Conrad: His Moral Vision*. Macon, Georgia: Mercer University Press,2007.

Raval, Suresh. *The Art of Failure*. Boston: Allena Unwin, 1986.

Said, Edward W. *Orientalism*. New York: Pantheon Books, 1978.

----------*Culture and Imperialism*. London:Vintage,1993.

White, Andrea. "Conrad and Imperialism" in *The Cambridge Companion to Joseph Conrad.* Ed. J. H. Stap. (Cambridge: Cambridge University Press, 1996. PP. 179-202.

Wiley, Paul L. *Conrad's Measure of Man*. Madison, WI: Winconson UP, 1954.

اكتساب مهارة القراءة عند الأطفال باللغة الفرنسية بوصفها لغة أجنبية

* الدكتورة: اعتدال حبيب

الملخص

أفاد أخصائيو علم الأعصاب أنه عندما يكون الطفل على اتصال بلغة ثانية ، فإن دماغه يطور "روابط" تعزز التعلم لديه.

إن تعلم القراءة باللغة الأم هو – بالنسبة للطفل – "استمرارية" لممارسة اللغة الشفهية المكتسبة خلال تطوره البيولوجي والاجتماعي, ولذلك من المثير للاهتمام البدء في هذا الاكتساب في أقرب وقت ممكن.

فيما يتعلق بالانتقال إلى القراءة باللغة الأجنبية عند الأطفال ، من الصعب جدا بالنسبة للصغار تحديد خصائص الجانب الكتابي ذو الصلة بلغتهم الأم وخصائصه باللغة الهدف. نرى أنه من المفيد والضروري التفكير في تحضير أنشطة تخص البدء التدريجي بالمجال المكتوب، وتأخذ بعين الاعتبار المهارة الشفهية السابقة المتمثلة في التحدث باللغة الهدف.

الكلمات المفتاحية: القراءة ، الشفهي ، الاكتساب ، الكفاءة ، اللغة الأم ، اللغة الأجنبية

* استاذ مساعد في قسم اللغة الفرنسية – المعهد العالي للغات- جامعة تشرين- اللاذقية- سوريا.
Itidalitidal418@gmail.com

Acquisition of reading in FFL by children

Dr. Itidal HABIB*

Abstract

Neuroscience specialists report that when the child finds himself in contact with another language, his brain produces "connections" consolidating his learning.

The learning of reading in the mother tongue is, for the child, a "continuity" of the practice of oral language acquired during his biological and social evolution. It is then interesting to start this acquisition as soon as possible.

Regarding the transition to writing in a foreign language, it is very difficult for children to identify the specificities of the writing of his mother tongue and that of the target language. We believe that it is profitable to consider activities of gradual introduction to writing, in correlation with this previous practice of speaking the target language.

Key words: reading, oral, acquisition, competence, native language, foreign language.

*Associate Professor to the higher institute of the languages, Tishreen University, Latakia, Syria, mail : itidalitidal418@gmail.com

Appropriation de la lecture en FLE par les jeunes enfants

Dr. Itidal HABIB*

Résumé

Les spécialistes en neuroscience signalent que lorsque l'enfant se trouve en contact avec une autre langue, son cerveau produit des « connexions » consolidant son apprentissage. L'apprentissage de la lecture en langue maternelle est, pour l'enfant, une « continuité » de la pratique de la langue orale acquise lors de son évolution biologique et sociale. Il est alors intéressant d'entamer cette acquisition le plus tôt possible.

Concernant le passage à la lecture en langue étrangère chez l'enfant, il est très difficile pour ce dernier de repérer les spécificités de l'écrit de sa langue maternelle et celui de la langue cible. Nous pensons qu'il est rentable d'envisager des activités d'initiation progressive propres au domaine de l'écrit, en corrélation avec cette pratique antérieure de l'oral de la langue cible.

Mots clés : lecture, oral, acquisition, compétence, langue maternelle, langue étrangère.

*Professeur adjoint à l'institut Supérieur des Langues – Section de français – Université Tichrine - Lattaquié- Syrie. itidalitidal418@gmail.com

Introduction

Lors de la construction progressive du savoir sur la langue, l'apprenant relie ce qu'il connaît précédemment avec les nouvelles perceptions qui lui sont présentées. La lecture est un processus de langage actif amenant l'élève à réfléchir et à résoudre des problèmes de lecture en faisant appel à certaines stratégies.

Les spécialistes en neuroscience signalent que le cerveau enfantin est « *modelé par ses expériences* ». Quand il est exposé aux sons d'une deuxième langue, l'enfant développe des « *connexions* » favorisant son apprentissage. Comme cet apprentissage est "*précoce*", l'enfant aura éventuellement une maîtrise autant de sa langue maternelle que de sa deuxième langue dans la même région du cerveau.

Pour créer un besoin d'apprendre le français par l'enfant de moins de 12 ans en Syrie, il faut motiver ce dernier en lui fournissant les circonstances de s'engager pour sa part aux activités découlées particulièrement du domaine du « *ludique* ». Pour développer chez l'enfant des stratégies de lecture, l'enseignant est invité à élaborer des activités suscitant la mémorisation et favorisant un «*transfert* » de compétences de lecture de la langue source vers la langue cible en partant de l'apprentissage excessif de l'oral en langue cible.

Problématique

Nous avons formulé les objectifs suivants:

- Sensibiliser à la spécificité accordée à l'enseignement/apprentissage de la lecture aux enfants aussi bien en langue maternelle qu'en langue étrangère.

- Clarifier le moment propice pour l'enseignement de la lecture en langue étrangère aux enfants.

- Prendre conscience des approches de lecture et attirer l'attention durant la période de réception sur l'importance de la motivation à apprendre une langue seconde en donnant à l'enfant l'occasion de faire des activités qui le motivent à apprendre. Le but de cela est d'améliorer l'acquisition de la lecture en langue étrangère chez l'élève syrien en partant des particularités du public enfantin.

Méthodologie

Nous débutons notre article par l'apport des Théories d'appropriation de la langue chez les enfants. Nous abordons le thème de l'acquisition de la lecture en langue maternelle aussi bien au niveau des stratégies que des approches. Nous nous interrogeons ensuite sur les circonstances, le pourquoi et le comment on enseigne une langue étrangère aux enfants, notamment la lecture en insistant sur les stratégies de compréhension et les facteurs de motivation de l'enfant lors de l'apprentissage. Nous terminons notre article par des propositions concernant des textes à lire en classe de FLE pour enfants.

Théories d'appropriation de la langue chez les enfants

Concernant l'« acquisition » et l'« apprentissage» d'une langue, les didacticiens en France préfèrent utiliser le terme d'«appropriation», afin d'englober les différents processus d'apprentissage (processus conscient) et d'acquisition (processus inconscient) de la langue du point de vue linguistique, social et psychologique. Nous supposons l'existence d'une période favorable pour l'appropriation de la lecture chez les enfants aussi bien en langue source qu'en langue cible.

Piaget s'est intéressé au développement cognitif des enfants. Selon son approche (constructiviste), l'enfant construit ses connaissances en fonction de ses perceptions et sur la base des expériences qu'il fait en agissant sur son environnement. Il distingue quatre stades de développement caractérisés par des aptitudes cognitives particulières.

La théorie de Gardner (1996), portant sur les intelligences multiples, requière la diversification des stratégies d'enseignement en fonction des différentes capacités des élèves et de leurs styles d'apprentissage.

L'apprentissage d'une langue étrangère se fait, selon Le socio-cognitivisme de Vigotsky (1985), par l'établissement d'opérations mettant en jeu à la fois les représentations mentales, les contextes socio langagiers et les compétences discursives concrétisées dans le lexique mental de l'apprenant.

Bruner (1998) a également insisté sur le rôle des influences sociales nécessaires pour le développement de l'enfant. Les propositions didactiques de sa théorie comportent un changement dans les pratiques d'enseignement portant sur deux points : privilégier tout d'abord les méthodologies basées sur la coopération enseignant–apprenant, ensuite donner l'importance aux activités de soutien dans le processus d'apprentissage.

D'après Vanthier (2009 : 20), le langage est la source du savoir, il contribue à construire le cerveau humain : « *l'expérience brute ne suffit pas au développement, elle doit être soumise à l'exercice de l'intelligence discursive, (…). C'est elle la véritable source de la connaissance (…). L'objet de connaissance doit être représenté, construit, interprété. Le langage étant le pivot de ce processus, il a donc un rôle modelant et structurant pour le cerveau* ». Elle ajoute aussi que l'enfant apprend à parler au moment où il prend conscience que le langage « *sert à faire, avec des mots, quelque chose qui a du sens et qui lui permet d'agir sur son environnement* » (2009, op.cit. : 33).

Acquisition de la langue maternelle

Le langage est une "*aptitude cognitive*" permettant d'articuler notre pensée, de représenter mentalement les concepts et de les manipuler (Gérard, 1997).

L'apprentissage de sa langue maternelle est une forme particulière d'apprentissage social, ayant lieu en parallèle avec le développement conceptuel du petit enfant (Hilton, 2019). Les

psycholinguistes ont adopté la théorie de « l'émergence » qui, selon Hilton, attribue nos acquisitions linguistiques aux capacités sociales et cognitives impliquées dans tous nos apprentissages. Nos connaissances linguistiques "*émergent*" suite à notre interaction constante avec cette langue, dans le contexte social de nos "*interactions humaines*" (2019 : 17).

Le langage "*phonétique*" selon Lieury (2005: 82) apparaît comme une organisation structurée de sons s'organisant en syllabes puis en mots; ce langage, acquis en premier auditivement chez l'enfant, se complique lorsqu'il se réunit avec les lettres. Les études réalisées sur la lecture ont été fort influées par « *les recherches sur la mémoire dans la perspective du traitement de l'information* » Lieury (2005, op.cit.: 82).

Faisant référence à Jamet (1997), Lieury (2005, op.cit.: 82) signale que « *le lexique interne est lui-même complexe* », qu'il comprend un lexique "*orthographique*," un lexique "*phonologique*" et un lexique "*morphologique*". Il attire notre attention sur l'existence d'un système «*lexical de sortie*» permettant de vocaliser les mots, comme nous le voyons infra dans la figure 1 ci-dessous citée par Lieury (2005).

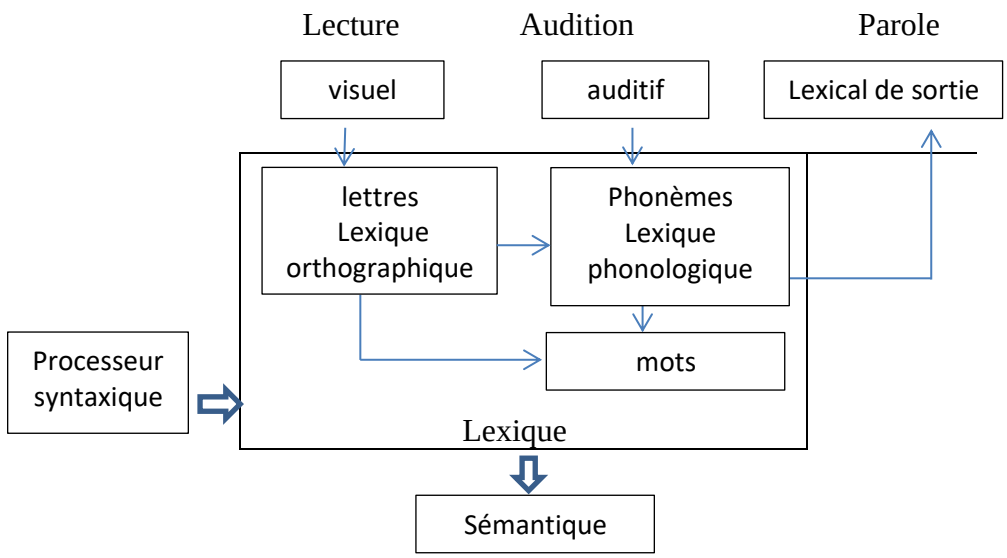

Figure 1, Etapes du traitement du langage (d'après Jamet, 1997)

L'acquisition des premiers mots de la langue est bien lente, c'est durant la deuxième année de l'âge de l'enfant qu'elle s'accélère: « *l'acquisition des premiers 20 mots (testée par exemple au moyen d'image) est lente et prend place de 1 an à 1 an et demi, mais ce vocabulaire augmente très vite,(…) à environ 300 mots à la fin de la deuxième année* » (Lieury, 2005, op.cit. : 83).

Concernant les mots appris à l'école élémentaire, le développement syntaxique chez les enfants et l'organisation sémantique, nous renvoyons à l'œuvre de Florin: *Le développement du langage*, publié à Paris en 1999.

La lecture en langue maternelle

Entreprendre graduellement la lecture en langue maternelle, avant même d'entrer à l'école est un facteur primordial de la réussite scolaire (Saint-Laurent & all., 2001). Son apprentissage est, pour

l'enfant, une « *continuité* » de la pratique de la langue orale acquise antérieurement. L'apprentissage du code alphabétique repose selon les termes de Ecalle et Magnan (2002:87) sur « *la capacité à décomposer les mots en phonèmes* ». La lecture alphabétique associe ainsi une composante auditive à une composante visuelle nécessitant, d'après eux, la prise en compte de la structure phonémique du langage.

La lecture selon Giasson (1995 : 7) est « un processus dynamique ». La lecture guidée permet à l'enseignant de travailler dans le cadre de la "zone proximale de développement" de Vygotsky, et de donner aux élèves l'occasion «*d'appliquer les stratégies qu'ils ont apprises* » (1995, op.cit.: 172). L'enseignant cherche à guider l'élève dans cette démarche avant, pendant et après une tâche de lecture. «*Gérer sa compréhension, d'après Giasson, consiste à planifier sa lecture, à en vérifier le bon déroulement et à effectuer un retour sur cette dernière. Avant de commencer à lire, le lecteur efficace choisit une intention de lecture, (…) formule des questions et des hypothèses. Au cours de la lecture, il vérifie ses hypothèses et en fait de nouvelles. (…). Après la lecture, il se demande ce qu'il a compris du texte, il vérifie s'il a atteint son objectif, il réagit au texte ou utilise l'information qu'il y a trouvée* » (1995, ibid.: 199). Les interventions après la lecture, permettent donc aux élèves d'«*approfondir la compréhension d'un texte, de partager des réactions et d'établir des liens entre les différents textes lus en classe ou de façon personnelle* » (1995, ibid. : 298).

Comprendre un texte selon Poslaniec (2001 : 9) ne consiste pas simplement à le décoder. C'est pourquoi savoir lire ne suffit pas pour être motivé à la lecture. Les meilleurs médiateurs du livre pour les jeunes, ce sont les jeunes eux-mêmes : « *Un livre qui a été lu avec plaisir par un enfant sera lu par d'autres, si l'on donne l'occasion au premier de le présenter* » (2001, op.cit. : 25).

L'enseignement d'une langue étrangère aux enfants

L'enfant est toujours en évolution. Il développe progressivement ses connaissances sur le monde qui l'entoure. Selon O'Neil (1993 : 203), l'enfant apprend à s'identifier de façon positive à une communauté et à ses valeurs. L'enseignement précoce des langues étrangères vient « perturber ce processus », puisque l'enfant cherche toujours à repérer une autre façon de s'exprimer et de «*rendre compte de la réalité* » ainsi que des manières de vivre qui sont différents de celles qu'il connait déjà. La langue étrangère sera réellement indispensable pour l'enfant dans la mesure où elle donne l'occasion de communiquer avec ses collègues et son enseignant sur des sujets qui ont de l'importance pour lui, de chanter, d'écouter des contes et de jouer. Pour cela, il est indispensable de travailler en classe sur des objectifs linguistiques en faveur de la communication. L'apprentissage d'une langue étrangère implique également son utilisation dans des situations diverses, comme le souligne Vanthier (2009, op.cit. : 44), « *Il ne s'agit donc pas d'équiper les enfants d'un kit communicationnel d'urgence qui, de toute façon, ne leur servirait souvent à rien, mais de jeter les bases des futurs apprentissages communicatifs oraux et écrits…* ».

Quand il est à l'école maternelle, selon Feuillet (2008), l'enfant prend l'apprentissage comme un jeu, ce qui rend son acquisition bien facile: «*La spontanéité de l'enfant va de pair avec l'absence d'inhibition. (…) Quand l'élève n'a pas peur de faire des erreurs de prononciation, il acquiert les bons réflexes plus vite. Plus la langue est compliquée, plus ça l'amuse* » (2008, op.cit. : 37).

L'enfant jusqu'à l'âge de 7 ans, pense encore, selon le terme de Piaget, de façon « *égocentrique* ». Ce qui veut dire que l'enfant comprend ce qu'il voit seulement de son propre point de vue, l'autre n'existant pas encore pour lui .

Dans l'enseignement de langue étrangère aux enfants, il s'agit de l'apprentissage de langue en action. La motivation vient selon Viau (1994) des perceptions qu'un élève a de lui-même et de son environnement. Une période réceptive devrait devancer tout apprentissage. Il est donc essentiel de développer l'écoute. D'où l'importance d'adopter un enseignement en favorisant la langue orale. Enseigner aux enfants, c'est bien profiter du plaisir que l'enfant peut avoir lors de l'utilisation des mots de la langue étrangère en admettant son « étrangeté » (O'Neil, 1993, op.cit. : 201).

En ce qui concerne les enfants de douze/treize ans, il est tout à fait envisageable de travailler l'écrit en classe de langue étrangère. L'enfant rencontre des mots en classe, il les écoutent, il les entend, il les répète, il les retrouve ultérieurement dans d'autres contextes et il les fixe dans sa mémoire. Plus tard après, il découvre la forme écrite de ces mots, qui est souvent très différente de la forme orale déjà

acquise. La lecture et les activités sur l'écrit lui permettent de mémoriser ces mots. Les dictées par exemple, soutiennent la réflexion sur la forme graphique de la langue. Ainsi la lecture et l'écriture se déroulent simultanément, de façon "parallèle et interdépendante".

Compétences et activité de lecture

Vanthier (2009, op.cit. : 50) signale que dans la vraie vie, l'enfant qui apprend à lire entre dans la culture et la langue écrites, que pendant la lecture il mobilise un certain nombre de compétences interagissant pour qu'il puisse savoir à quoi se réfèrent les mots écrits du texte et pouvoir leur attribuer du sens. Elle rappelle aussi que Chauveau, dans son ouvrage de 1997, a identifié sept types de compétences mobilisées dans l'acte de lire auxquelles elle a ajouté la compétence lexicale. Nous avons présenté ces compétences dans la figure 2 ci-dessous.

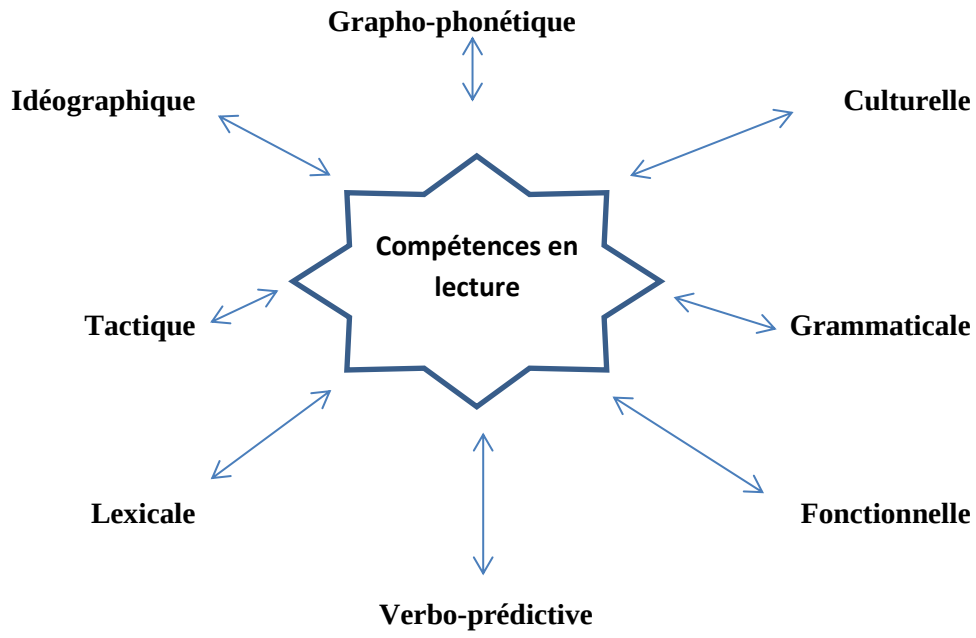

Figure 2, Les compétences en lecture

Pour comprendre ce qu'il lit, toujours selon Vanthier (2009, op.cit.: 50-53), et suivant les compétences exposées supra, l'enfant doit,

- "*comprendre à quoi se réfèrent les mots écrits du texte*";
- être capable à "*identifier et oraliser un mot écrit*";
- avoir la capacité "*d'identification visuelle directe*" lui permettant de "*reconnaître spontanément* " une suite de mots sans difficulté;
- connaitre " *le fonctionnement de la langue*" permettant de comprendre comment les mots s'organisent entre eux dans un énoncé;
- connaitre les "*différents supports et types de textes*", ainsi que des stratégies nécessaires pour faire une lecture efficace;

– être capable "*d'émettre des hypothèses*" sur le message à partir du contexte;

– pouvoir "*se représenter*" les éléments du domaine abordé;

– "*savoir lire*" et avoir des "*savoir–faire*" découlés de la "*fréquentation des textes écrits*".

Facteurs de motivation de l'élève syrien à apprendre une langue étrangère

En Syrie, l'enfant n'éprouve aucun besoin de parler français et n'a pas souvent d'interlocuteurs français dans son environnement. Les enfants ont déjà l'arabe comme langue en commun. Ce qui leur permet de communiquer entre eux sans recourir au français. Comment donner à un tel enfant envie d'apprendre une langue étrangère, notamment le français? Les désirs et les décisions de notre élève sont en fait, dépendant de ceux de ses parents. Ces derniers veulent que leur enfant réussisse dans toutes les matières dont les langues étrangères. Ils souhaitent que leur enfant ait toujours de bonnes notes pour avoir l'habitude d'obtenir des notes "complètes" dans toutes les matières lorsqu'il sera au baccalauréat afin qu'il puisse choisir son étude universitaire préférée. Concernant l'apprentissage du français, il s'agit alors de développer exclusivement le travail de la mémoire à court terme, car après les examens, l'élève décharge sa mémoire et oublie presque tout ce qu'il a appris de cette langue. L'enfant est incapable donc de communiquer en français. Pour le devenir, l'enseignement devrait tenir compte des capacités dont l'enfant dispose à son âge et l'aider à avancer sur le plan langagier, psychomoteur, cognitif et affectif. Cet enseignement devrait mettre en

place un environnement rassurant et sécurisant, et être axé sur les actes de parole, en fonction des besoins de l'enfant. Pour C. O'Neil (1993, op.cit. 206), afin de motiver l'enfant, il faut susciter chez lui la curiosité, le désir de découvrir la culture cible et puis répondre de manière aussi satisfaisante que possible à cette curiosité. Pour motiver les enfants, Vanthier (2009, op.cit. : 24) de son côté, recommande de leur fournir des "*situations pédagogiques*" représentant des "*interactions*" et reliant le langage à l'action.

Les enfants, lors de l'apprentissage d'une langue étrangère, se servent des stratégies de mémorisation et des stratégies de communication. Dans le contexte de l'enseignement, la répétition joue un rôle incontestable dans l'acquisition comme le soulignent Haeffele et Weiss (2003 :40) : « *la fréquence d'emploi des mots et des structures aide à la rétention* » . L'enseignant aurait la possibilité de présenter en classe des enregistrements facilement détectables, à l'aide d'un débit convenable aux enfants. Il convient d'employer un vocabulaire qui porte essentiellement sur l'environnement immédiat des enfants. L'objectif de l'enseignant serait alors de parvenir à utiliser la langue française en réduisant progressivement le recours à la langue maternelle des enfants.

Quand débuter la lecture en langue étrangère chez l'enfant?

Selon des recherches en neuroscience, Le cerveau dispose, à une certaine période de la vie (notamment avant la puberté), d'une grande "plasticité" qui le rend spécialement disponible aux apprentissages linguistiques. Une région du cerveau appelée « région de la forme visuelle des mots » a été identifiée pour l'apprentissage

de la lecture (Dehaene, 2007: 108). Concernant l'apprentissage précoce de la lecture en langue étrangère, il est très peu possible que l'enfant puisse repérer les spécificités des deux codes écrits : le code de sa langue maternelle et celui de la langue cible. Il est indispensable que les démarches d'enseignement de l'écrit en langue étrangère permettent une connaissance du fonctionnement de l'écrit en cette langue.

Pour le passage à l'écrit en langue étrangère chez l'enfant de 6/7 ans, Vanthier conseille de ne pas l'entreprendre avant l'acquisition du système de relations graphie-phonie de la langue source afin de lui laisser le temps de *« se familiariser avec les aspects sonores et sémantiques du français à travers des activités d'apprentissage de l'oral »* (2009 :51). Parce que aussi l'apprentissage d'une langue étrangère devrait commencer par une phase " *d'observation* " selon les propos de Trocmé-Fabre (1991: 73) : «*La première étape est celle de savoir-observer : observer avec tout son corps, avec sa vision, son audition, ···découvrir dans le deuxième idiome ce qui est forme, texture, consistance, couleur, (···) Ce qu'exige essentiellement le cerveau, c'est qu'on lui laisse le temps de recevoir avant d'avoir à produire (···)* ».

Partant de ce principe, pour les enfants syriens commençant l'apprentissage du français, il est bénéfique d'exploiter la façon dont un enfant acquiert sa première langue. Ce dernier durant sa petite enfance entend la langue de son entourage, notamment celle de sa mère, l'arabe dans notre situation. Il "s'imprègne" de sa mélodie, il

écoute des chansons, et il les récite par cœur, certainement avant d'apprendre la lecture et l'écriture en langue arabe

Pareillement en classe de français langue étrangère, il est indispensable que l'enfant de 6/7 ans ait l'opportunité de percevoir les spécificités de cette langue . Il est nécessaire de lui donner l'occasion d'"observer" les sons et les mots de cette langue afin de les "percevoir" et les reproduire. L'enseignant sera invité à préparer des activités d'écoute et à appeler l'enfant à y participer. Cette démarche va donner à ce dernier l'occasion d'acquérir les fondements "phonologiques" du français. Ainsi chez ces enfants, qui n'ont pas encore appris la lecture en arabe, il est préférable et même souhaitable de développer au départ, seulement les compétences orales en français, parce que : « pour un enfant de 6/7 ans, le coût cognitif lié à l'apprentissage de la lecture et à la compréhension du principe alphabétique est énorme» (2009, op.cit. :51). De ce fait, nous pensons que les activités ludiques, les chansons et les contes relatés aux enfants contribuent à enrichir la compétence de l'oral chez l'enfant. Les comptines sont, selon Vanthier (2009, op.cit. : 82), "*un support d'apprentissage privilégié pour la classe de FLE pour enfants*". Elles permettent, selon elle, de "*développer le vocabulaire et d'affiner la perception auditive*" grâce aux rimes, rythmes et certains phonèmes spécifiques au français. Nous discernons par exemple: "*Am stram gram*", " *un, deux, trois*", "*comptine de la poule*", "*Mon âne*", "*Nous faisons la ronde*", "*Le crocodile*",... Des activités pourraient être proposées à partir de ces comptines.

En revanche, chez les enfants qui ont déjà acquis le système de l'écrit en leur langue maternelle, après avoir posé les fondements

phonologiques, on pourra envisager le passage à l'écrit en langue cible avec un "coût cognitif" bien réduit. Ainsi chez ces enfants qui ont acquis l'écrit en arabe langue maternelle, on peut fournir des activités d'initiation à l'écrit portant sur des sujets variés qui concernent le lexique.

Comment lire en classe de FLE pour enfants?

Des pistes didactiques, permettant de développer diverses compétences dans le cadre d'activités de sensibilisation progressive de compréhension de l'écrit pourraient être proposées. L'enfant a besoin d'écouter et de voir pour qu'il puisse organiser, faire des liens, apprendre et mémoriser. D'où l'importance de lui présenter des images, des illustrations et des tableaux.

Afin de développer la compétence "*grapho-phonétique*" en français, il est envisageable par exemple, à partir de l'activité "*La maison des sons*" proposée par Vanthier (2009, op.cit.:141), de faire associer les graphies des mots aux images qui sont dans *la maison des sons*. Il est possible aussi de proposer une activité de type " *j'entends/ je vois*..." qui sert à montrer qu'en français, on peut parfois entendre un même phonème mais de l'écrire de façon différente. La figure 3 ci-dessous représente la maison du [Ẽ]

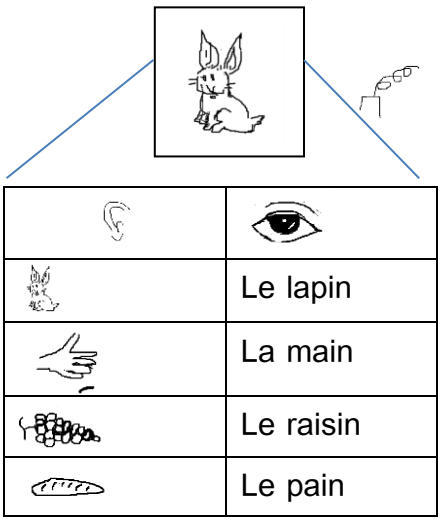

Figure 3, La maison du [Ẽ] (Vanthier, 2009:141).

L'élève saura par exemple que dans (*enfant*), on entend deux fois [ã], on écrit le premier comme dans (*dent*) et le second comme dans (*blanc*). Vanthier présente une mise en œuvre pédagogique du jeu «*au pays de pada pade pado padu* » (2009, op.cit. : 141), pour sensibiliser les enfants à certains rapports phonie / graphie spécifique du français.

Pour initier l'élève à la lecture, il est aussi possible de lui présenter des "mots puzzles" à refaire à partir des cartes contenant des syllabes en lui demandant d'associer les syllabes pour reconstituer des mots. Il est envisageable aussi de lui présenter des lettres pour former un mot, d'identifier des mots dans une liste formellement proche ou de reconstituer une phrase comme dans les figures 4, 5, 6 et 7 infra inspirées de la démarche pédagogique de Vanthier (2009, op.cit. : 147-149).

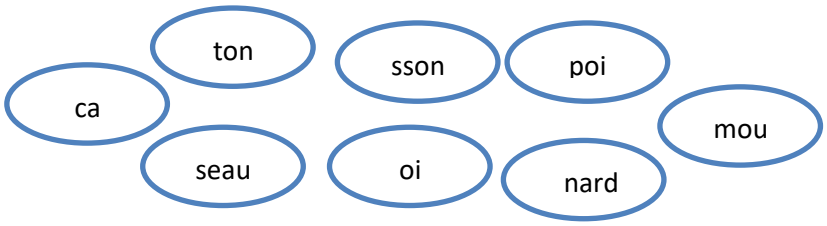

Figure 4, Reconstitue les mots.

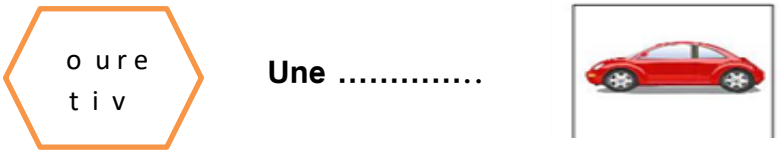

Figure 5, Restitue un mot.

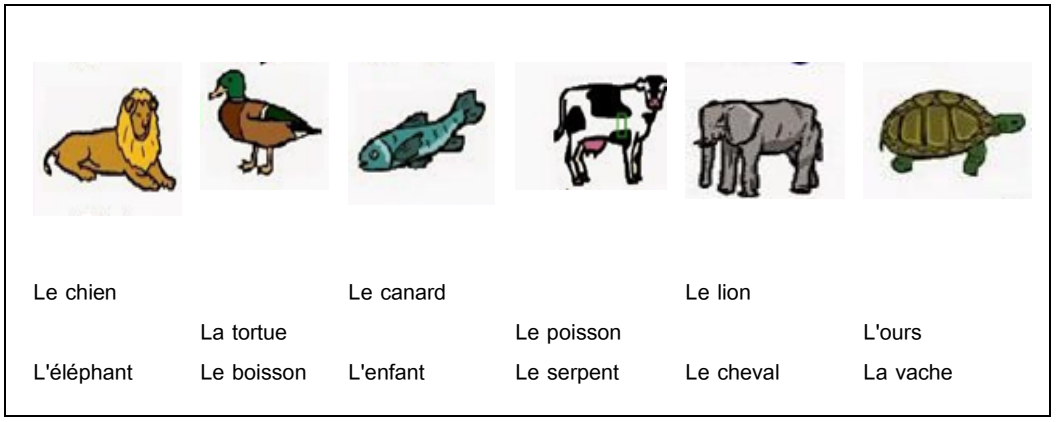

Figure 6, Entoure les mots correspondant aux images.

!	pantalon	son	met	Le	.	sa	garçon

Figure 7, Reconstitue une phrase.

Selon cette démarche basée sur l'exploitation de certains jeux comme "*le jeu de dominos*", "*le jeu de memory*" ou le "*jeu de bingo*", il s'agit de développer des compétences "*idéographiques*" chez les

enfants permettant de "*photographier*" les mots. (Vanthier, 2009, op.cit. : 146)

Il est évident qu' "apprendre à lire" en FLE pour enfants ne se limite pas au niveau des mots, il est indispensable d'envisager des situations dans le cadre de la "*pédagogie fonctionnelle*": il s'agit de comprendre et produire des textes comme une recette, un récit ou une chanson. Cela est pour des enfants à partir de 8/9 ans. Des activités seront proposées aussi pour la classe, nous citons parmi celles proposées par Vanthier : « *Jeu de la phrase la plus longue* » (2009, ibid. : 150), « *Lire pour faire … et dire* » (2009, ibid. : 152), «*fabriquer un lapin marionnette* » (2009, ibid. : 159) *enfin l'activité*, «*une recette pour fabriquer de la pâte à sel* » (2009, ibid. :155).

La mise en œuvre pédagogique de l'activité « *une recette pour fabriquer de la pâte à sel* » a par exemple pour objectifs de repérer dans le texte les informations pertinentes permettant la réalisation de la recette : ingrédients, ustensiles et étapes. Il s'agit donc d'acquérir certains noms comme: (la farine, le sel, l'eau,… un saladier, un verre,…) et certains verbes (verser, mélanger, former une boule, …).

L'internet présente aussi une source abondante de documents pour l'enseignement/apprentissage des langues particulièrement la lecture. L'important est de savoir bien choisir ce dont nous avons besoin dans notre tâche d'enseignement.

Conclusion

A la lumière des idées de Vanthier (2009, op.cit.), enseigner une langue étrangère à un enfant de moins de 12 ans requiert une bonne connaissance des méthodes d'enseignement de cette langue ainsi que des aptitudes dont l'enfant dispose. Le bon enseignement consiste à aider ce dernier à avancer sur le plan langagier, psychomoteur, cognitif et affectif. L'enseignant sera invité à concevoir des démarches spécifiques d'appropriation de l'écrit en fonction du développement psycho-cognitif de l'enfant et en rapport avec les acquisitions et ressources qui les accompagnent.

Pour nous, afin de favoriser l'initiation au monde de l'écrit, principalement la lecture, il est donc essentiel de prévoir des activités d'initiation progressive à l'écrit en rapport avec cette pratique antérieure du français oral. Les ressources visuelles comme les images, les illustrations, les desseins pour enfants seront exploitées régulièrement en classe de FLE pour enfants.

Les activités de réception, pour qu'elles soient motivantes, devraient se baser sur le principe de l'écoute active, de ce fait, l'enfant écoute pour faire quelque chose. Ceci permet de montrer à l'enfants l'intérêt de la tâche. Il s'agit de présenter un mouvement d'interaction entre l'enfant et la langue. Par l'utilisation des "*recettes*", "*des règles du jeu*" ou "*des fiches de fabrication*", on cherche à développer chez l'enfant une véritable attitude de lecteur actif en langue étrangère.

Bibliographie

Bruner, J.-S. (1998). *Le développement de l'enfant : savoir-faire, savoir-dire*. Paris, PUF.

Chauveau, G. (1997). *Comment l'enfant devient lecteur? Pour une psychologie cognitive et culturelle de la lecture*. RETZ.

Dehaene, S. (2007). *Les neurones de la lecture*. Odile Jacob.

Ecalle, J. ; Magnan, A. (2002). *L'apprentissage de la lecture. Fonctionnement et développement cognitifs*. Paris, Armand Colin.

Florin, A. (1999). *Le développement du langage*. Dunod, Paris.

Gardner, H. (1996). *Les intelligences multiples. Pour changer l'école : la prise en compte des différentes formes de l'intelligence*. Paris, Retz.

Gérard, C.-L. (1997). « *Acquisition normale du langage parlé* ». Dans Neuropsychologie de l'enfant. Troubles développementaux et de l'apprentissage, p. 124-125. Paris, Dunod.

Giasson, J. *La lecture. De la théorie à la pratique*. Boucherville (Qc), Gaëtan Morin Éditeur, 1995.

Haeffele, H.; Weiss, M. (2003). *L'enseignement du français aux enfants d'origine étrangère* (Guide pratique pour l'enseignant). CEFISEM/ CRDP d'Alsace, Strasbourg.

Hilton, H. *Sciences cognitives et apprentissage des langues*. Paris : Cnesco, 2019.

Jamet, E. (1997). *Lecture et réussite scolaire*. Dunod, Paris.

Lieury, A. (2005). *Psychologie cognitive, des principes aux applications*. Dunod, Paris.

O'Neil, C. (1993). *Les enfants et l'enseignement des langues étrangères*, collection Langues et Apprentissages des langues, col. dirigée par H. BESSE et E. PAPO, École normale supérieure de Fontenay – Saint-Cloud, Didier, Paris.

Feuillet, J. (2008). « *Les enjeux d'une sensibilisation très précoce aux langues étrangères en milieu institutionnel* ». actes du colloque à l'université de Nantes.

Poslaniec, C. (2001). *Donner le goût de lire. Des animations pour faire découvrir aux jeunes le plaisir de la lecture*. Éditions du Sorbier, Paris.

Saint-Laurent, L.; Giasson, J. et Drolet, M. (2001). *Lire et écrire à la maison*. Programme de littératie familiale favorisant l'apprentissage de la lecture. Montréal, Éditions de la Chenelière.

Trocmé-Fabre, H. (1991), « *J' apprends, donc je suis*… », p. 71-79, *Enseignements/ Apprentissages précoces des langues*, Numéro spécial, Le français dans le monde, Recherches et applications, août-septembre 1991, EDICEF, Paris

Vanthier, H. (2009). *L'enseignement aux enfants en classe de langue*, CLE International, Paris.

Viau, R. (1994). *La motivation en contexte scolaire*. Saint-Laurent (Qc), Éditions du Renouveau pédagogique.

Vigotsky, L.S. (1934; trad. 1985), *Pensée et langage*, Editions sociales.

الشاعر الغراب مأساته وغربته في الشعر الجاهلي

أ.د. جودت إبراهيم*

بسام أحمد المجدل**

ملخص البحث:

ينهض هَذَا البحث بدراسَة حياة الأغربة وغربتهم في ظلّ ذلك المجتمع المنحط إنسانياً، فقد تناول أبعاد الغربة ومظاهرها فكانت تتمثل بمظاهر شتّى منها الخوف والقلق والاضطراب، حيث إنّ ظاهرة الغربة في الشعر الجاهلي ليست تقليداً فنياً وإنّما حاجة فرضتها عليه الحياة الجاهلية، فالغراب لم يعان من الغربة التي عانى منها الجاهليين معظمهم بسبب الظروف البيئية في شبه الجزيرة العربية مثل الصحراء وحرارة الجو القوية في الصيف والبرودة الشديدة في الشتاء والقحط الدائم فحسب إنما علاوة على ذلك عانى من ذلك لأسباب فيزيولوجية كانت باديةً على وجهه الأسود وساريةً في عروقه الزرقاء، إنّه السواد الذي ورثه من أمه التي ظلت سبة عليه طيلة حياته.

الكلمة المفتاحية: الأغربة، الغربة، القهر.

* الأستاذ الدكتور جودَت إبراهيم، أستاذ في اللغة العربية وآدابهَا – جامعة البعث.

** طالِب دُكتورَاه، في شعبة الدِّرَاسَات الأدبيَّة في كلية الآداب، جامعة البعث.

Abstract

The research summarizes this research is to study the life of the seed and its west under that society is humanitarian, and the dimensions of alienation and their manifestations were different from fear, concern and disorder, as the phenomenon of alienation in ignorance is not A technical tradition, but the need for ignorance of life, the crow did not suffer from most Elementia because of environmental conditions on the Arabian Peninsula, such as desert and strong air heat in the summer and cold in the winter and the permanent However, as well as that, he suffered to fierce reasons that were founded on the black and Syrian face in his blue veins that he was inherited from his mother, who had remained in his life

Key words: black arab , alienaion- oppression,.

مقدمة:

ثمة ظواهر كثيرة في الشعر الجاهلي ينبغي الوقوف عليها لأهميتها، ولا ننكر أنّها مدروسة ولكن بأساليب مختلفة، فصدر الشعر الجاهلي رحبٌ يتسع للأقوال والدراسات التي تحاول إظهارها أمام كبار الباحثين، وتجدر الإشارة إلى أنّ ظاهرة الغربة عند الأغربة لها أهمية كبيرة لما نتحدث عنه ؛ فالحديث عن المسائل الإنسانية يهمّ الجنس البشري إذ إنّها تُعد من أهمّ أسباب بقاء الإنسان على قيد الحياة، فعندما تفتقد الإنسانية قيمتها يصبح الإنسان أخفض درجةً ، وهذا ما حصل مع الشعراء الأغربة الذين فقدوا قيمتهم لسواد بشرتهم وللدم الحامي الذي سرى في أجسادهم المنحوسة، نعم فقد فقدوا ذواتهم وكينونتهم الدالة عليهم رغم ما حملوه في قلوبهم من شجاعة وإقدام وصدق و وفاء، كانت هذه الصفات أبيض من بشرة الرجال السادة الّذين لم يعبثوا ولم يكترثوا لما أصاب الغراب جراء معاملاتهم اللاإنسانية.

مشكلة البحث:

من أهمّ مشكلات اختيار الموضوع هي كثرة الآراء حول الشعراء الأغربة ونيلهم حريتهم، وكان هناك بعض الصعوبات منها تعدد تقصي حالة الغراب النفسية، وأيضاً التغاضي من السادة البيض الذين وضعوا مشاعر الغراب في آخر اهتماماتهم، بالإضافة إلى المدلولات العميقة والغزيرة للشعراء الأغربة.

هدف البحث:

سعت الدراسة إلى تحديد حالات القهر جراء الغربة ومأساة الغراب ثُمّ تقصيها في نماذج شعرية من شعر الأغربة، لما لها من قيمة إنسانية بين أوساط الباحثين.

أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث في تلافي حالات القهر الإنساني، وذلك بعد بيان حالة الغراب التي آل إليها من خلال تطبيق نماذج شعرية متميزة من شعر الأغربة.

منهج البحث:

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي لكي يبلغ البحث غايته في تذوق النصّ الجاهلي وتقصي الأنسنة في شعر الأغربة على مستوى المواقف الإنسانية التي اعترضت الشاعر. إذ إنّه يعتمدُ من أجلِ تنظيمِ العملِ العلمي والدراسة والتحليل لبلوغ الأهدافِ المطلوبةِ من البحثِ[1].

الدراسات السابقة:

من الأبحاث التي تناولت هذا الظاهرة كتاب **(الشعراء السود)** لـ"عبده بدوي"، و**(الغربة في الشعر الجاهلي)** للدكتور "عبد الرَّزاق الخَشرُوم"، و**(مَظاهر القهر الإنساني الشعر الجاهلي)** رسالة ماجستير لـ"رباح علي".

الغربة عند الشاعر الغراب:

إنّ الغربة هي الانسلاخ عن الذات، وقد جاءت في العلاقات الإنسانية: الشعور بالبعد سواء أكان مادياً أم معنوياً, «والغرب: الذهاب والتنحي عن الناس, وَقَد غَرَبَ عنَّا يَغربُ غرباً, وَغرَّبَ وَأغرَبَ وَغرَّبهُ أَغربَهُ: نحَّاهُ, وَفي الحديث أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلّم أمر بتغريب الزاني سنةً إذا لم يحصن وهو نفيه عن بلده. والغربة والغَرْبُ: النوى والبعد وقد تغرب.

[1]1– إبراهيم، د. جودت، منهجية البحث, مديرية الكتب والمطبوعات، 2007– 2008م، ص292.

قال ساعدة بن جؤية يصف سحاباً:

ثـم انتهـى بصـري و أصـبح جالسـاً ومنـــه لنجـــد طـــائفٌ متغـــرب

وَقيل متغربٌ هُنا أيِ من قبل المغرب. ويقال أغرب في الأرض إذا أمعن فيها»[1].

وجاء في القاموس المحيط: «الإغراب: إتيان الغرب والإتيان بالغريب... وَمَغربانُ الشَّمسِ حيث تغربُ، وَلقيته مَغربهَا وَمغربانهَا و مَغيرباناتهَا عندَ غُروبها, وتغرّب: أتى من الغرب... وغرب غَاب وبعُ. واغتربَ: تزوج من غَير الأقاربِ واستغربَ وأغرَب بالغَ في الضَّحك، والتَّغريب أن يَأتي بنون بيض وَبنون سود, والمُغرَب بفتح الرَّاء الصبح وكل شيء أبيض[2].

وكلُّ المعاني السابقة تشير إلى البعد عن البشر و الابتعاد عن الأوطان وهذا البعد له أسباب عدّة فالإنسان في حال غربته سواء أكان داخل الوطن أم خارجه هو بعيد. فإذا كان خارج الوطن يكون بعيداً عن وطنه وأحبته وإذا كان داخل الوطن يكون منبوذاً أو مضطهداً أو مظلوماً وكلّ هذا يجعل قلبه بعيداً عن الناس ربما بسبب عادات وتقاليد لا تتلاءم مع أفكاره وطبيعته النفسية أو الفيزيولوجية.

وعلى هذا يمكن القول إنّ الغربة ليست خياراً يختاره الشاعر بنفسه أو أنّها عادة جرى عليها الشعراء إنّها ظاهرةٌ فرضها الواقع والطبيعة الجاهلية ونظامها القبلي وهذا ما

1- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط3، 1414هـ، مادة غرب، ج1، ص638.

2- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، تحقيق مكتب تحقيق التراث، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط8، 2005م، القاموس المحيط مادة غرب .

جعل الشاعر يذوب بكلّ كيانه في ذلك الوطن الذي جعله يشعر أنّه بعيدٌ عنه وتجدر الإشارة إلى أنّ البعد عن المكان الذي عاش به مدة ثم غادره ليبحث عن مكان فيه ماء وكلأ، لا نستطيع أن نسمي هذا النوع من الابتعاد غربة لأنّ ذلك تعوّد عليه بالإضافة إلى أنّ الشوق والحرقة لا تكون على الجدران أو مكان البيوت. كما ذُكر في المقدمات الطَّلليَّة إنَّما يَعيشُ غربتَهُ النَّفسيَّة و لم يتألم على بعد مكاني فحسب، فقد تألم على ابتعادٍ مقصودٍ من طرف القبيلة. ابتعادٍ جعله يشعر أنّه وحيدٌ في قبيلة لا تخلو من أحد، في قبيلة فرضت عليه العزلة، و هو كائنٌ موجودٌ يتنفس من هواها ولا يشعر بكينونته و إنسانيته إلا وهو في داخلها، إلا أنّ هذا الأمر فُرض عليه فرضاً قسرياً([1]).

وكان الشعراء الأغربة على نوعين: أغربة بقوا في قبائلهم وعاشوا الغربة الروحية. و أغربة صعاليك خرجوا عن قبائلهم وعاشوا غربةً مكانية وعلى هذا ميّز الدكتور عبد الرزاق الخشروم بين نوعين من الغربة:

«أولاً: غربة القهر, ليسَ للإنسان سلطة فيها وإنّما اصطلحت مجموعة عوامل على خلقها ؛وقد تجلت في الغربة عن الوطن والأهل وفي الغربة عن المجتمع.

ثانياً: غربة الذات قصد إليها الإنسان الجاهلي قصداً وتجلّت في حنينه إلى الماضي وتغيّر الدهر عليه وخروجه على القبيلة وعلى القيم الدينية والروحية التي كان يؤمن بها المجتمع الجاهلي وأثرت أن أسميها اغتراباً»[(2)].

يبدو أنّ الدكتور عبد الرزاق الخشروم تحدَّث عن الغربة في العصر الجاهلي عَلى العموم، لكن الغربة عند الأغربة وُجدت لِسَببٍ قهري قسري فُرض عليهم, وبهذا نتفق

[1] - انظر: الخشروم، د.عبد الرزاق، الغربة في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد كتاب العرب، 1982م، د ط، ص12-13

2- الخشروم، د.عبد الرزاق، الغربة في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد كتاب العرب، 1982م، د ط، ص14.

معه على النوع الأول، لكن النَّوع الثاني لا نتفق معه؛ لأنّ الغربة في حياة الأغربة ليست في الحنين إلى الماضي، إنّما في الواقع المعيش الذي فُرض عليه بسبب عوامل فيزيولوجية ليس له ذنبٌ بها، إضافةً إلى عوامل أخرى تتعلق بمن تصعلك منهم خرج عن عادات القبيلة وتقاليدها حيث إنّ هذا النوع لم يحنُّ إلى الماضي، فهو خرج وتغرّب لكي يخرج عن سيطرة القبيلة التي كانت مسيطرة عليه في الماضي واتخذ من حاضره ومستقبله خطوةَ تغيرٍ خطوة اغترابٍ تجعله ينسى ما سلف ويتخذ مجتمعا جديداً لا يجعله يعاني كما سبق، إلا أنّ شعور البعد ظلّ يرافقه لأنّه في مكان بعيد يبحث فيه عن الأنس، ويبحث عن قبيلة مثالية تقدّر شجاعته وقدراته النادرة وعلى هذا نستطيع أن نقول: هناك غربة حصلت قهراً واغتراباً حصل طوعاً.

«وقد يولد الإنسان لأمةٍ سوداء فيظلّ لونه يلاحقه ويكون عليه سبّة أمر ويكون فقيراً فيتصعلك. أو يرتكب خطيئة فيُخلع. أو يُؤسر في إحدى غزوات القبائل الكبيرة أو يضطر إلى النزول بقوم لا يمتُّ إليهم بصلة النسب فيكون بكلِّ هذه الحالات غريباً. ولكن هذا ليس بإرادته أيضاً. فهو غريبٌ غربة القهر والحياة والمجتمع»[1].

دواعي الغربة في شعر الأغربة:

ثمة أسباب دفعت الإنسان إلى الغربة خارجة عن سيطرته وهناك أسباب دفع نفسه منها إلى الغربة تعنتاً وتشدقاً بسبب رفضه لكلِّ العادات والتقاليد المفروضة عليه في ذلك المجتمع، والتي يراها مجحفةً في حقّه في ظل غياب العدالة الاجتماعية. وثمة عوامل عدّة كانت مهمةً في بعده، سواء أكان ذلك غربةً أم اغتراباً، فهي جعلت منه مشتتاً يعاني ويقاسي جراء ما أصابه. ومن أهم هذه الدواعي:

1- نفسه، ص: 16.

أولا: الدَّاعي البِيئيّ:

تغلب على البيئة في الجزيرة العربية البيئة الصحراوية، ومناطق قفار مترامية الأطراف «جعلت مناخها جافاً وشديد الحرارة بوجهٍ عام والجفاف يعني أيضاً قلّة الأمطار أو ندرتها... فإذا ما سقطت فإنّ وجه الصحراء يتغير بسرعة فتنبت الأعشاب... وسرعان ما تذبل وتزول أسباب الحياة البدوية القائمة على تربية الماشية والسعي لتأمين الكلأ والمراعي لها, فأشعة الشمس الحارقة ورياح السموم التي تهبّ في مواسم معينة فتشوي الوجوه وتعمي العيون, تسلب الأرض إشراقها وخضرتها, ومن هنا نفهم تسمية المطر بالغيث»[1].

إنّ هذا الجو الرهيب والبيئة المفرطة الصعوبة جعلت الإنسان العربي منذ القديم يجد في الهجرة ملاذاً بسبب ذلك الوضع القاسي وهذا ما جعلهم يخرجون خارج الجزيرة العربية للتخلص من حالة الفقر والطبيعة الصعبة في ذلك المكان الجاف. فهذه الصورة لتلك الطبيعة تتلخص في أنّهم كانوا يعيشون في منطقة صحراوية جبلية ذات أغوار شديدة الحرارة ومرتفعات شديدة البرودة وبينها مناطق رملية واسعة مخيفة عسيرة العيش حتى على الحيوانات. مما دفع الإنسان الجاهلي إلى الهجرة فإذا انقطع المطر عنها انقطع لدرجة أنّ الحياة انقطعت فيها. وإذا جاء يكون قوياً ينهي كلّ مقومات الحياة يحرك كلَّ شيء أمامه فلا مجال للحياة إلا ما ندر. فالبرد يعقد ذنب الكلب والحرُّ يذيب دماغ الضب. فكان هذا مقوماً رئيساً في تناقضات طبيعية تنفّر الإنسان من نفسه حتى أنّها صورة مقزز لطريقة العيش.[2] جعلت هؤلاء يهيمون على وجوههم فارين مما هم فيه لكنّ هذا الفرار خلّف في نفوسهم آلاماً تشوي قلوبهم كما شوت الشمس أدمغتهم وعقدت

1- هبو ، أحمد ، تاريخ العرب قبل الإسلام، منشورات جامعة حلب ، سورية،1990، دط. ص49

2- الغربة في الشعر الجاهلي ص 20.

ألسنتهم كما عقد البرد ذنب الكلب بسبب آلام الغربة القسرية فهم خرجوا من مكان فيه أناس جعلتهم يتحملون تلك الطبيعة في سبيل البقاء إلى جانبهم. ويمكن أن نضع هذا العامل مع جملة العوامل التي دعت للغربة عند الأغربة وغيرهم من الشعراء. وقد تجلت هذه الصورة في المقدمات الطللية. يقول سحيم[1]:

عَفتْ من سُليمى ذاتُ قرقٍ فَأُوذُها وأقفرَ منها بَعْدَ سلمى جَدِيدُها
أربَّتْ عليه كُلُّ هَوجاءَ مُعصِفٍ أسْحمَ دانٍ مُزْنُه يَستَعيدُها

يتذكّر الشاعر سليمى وديارها التي أقفرت من أهلها وزالت كلّ محاسنها بعد غياب أهلها. وقد كانت الطبيعة العامل الرئيس في هجرة أهل هذا المكان، وقد سيطرت الرياح العاصفة والأمطار التي خلّفت السيول الجارفة التي أودت على الحياة في هذا المكان، ومنه أيضا قول خفاف بن ندبة معدّداً أسماء المناطق التي يحن إليها يقول[2]:

طَرقت أسيمَاءُ الرِّحَال ودُونَنا مِن فَيْدِ غَيقَةَ ساعدٌ فكثيبُ
فالطّودُ فالمَلكاتُ أصبحَ دُونَها ففِراعُ قدسَ فعمقُها فحَسوبُ
فلئنْ صَرمتِ الحبلَ يا ابنة مالك والرأيُ فيه مخطئٌ ومصيبُ

قد كانت الغربة صُورةً مُلحَّةً، ليست رغبةً إراديةً، ومقصودة من الشاعر إنما هي حاجة فرضها ذلك الواقع المرير في شبه الجزيرة العربية في ظل الموقع الجغرافي والصحاري وحرارتها العالية وجبالها وبرودتها القارسة. إنّ القصدية الملحة في الغربة إثر العامل الطبيعي خلّفت إنساناً متهتكاً دائم الحنين إلى ملاعب الصبا وأيام الوصل مع الأهل والأقرباء. وظلّ يذكر وينوح دائماً في مطلع كلِّ قصيدةٍ يكتبها وكأن تلك المقدمات

1- ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، تحقيق عبد العزيز الميمني، القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية، 1950م، د ط، ص:49.

2- ديوان خفاف بن ندبة، جمع وتحقيق: الدكتور نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف بغداد، 1967م، د ط، ص:40.

تعبّر عمّا في نفسه. من مشاعر الغربة والبعد عن موطنه الذي صعبت ظروف العيش فيه ورغم ذلك فإنّ الغربة كانت بالنسبة له مهلكةً أكثر من ظروف المكان الذي كان يعيش فيه إلا أنّه اضطر للرحيل بهدف الاستمرار على قيد الحياة وضمان استمرار النوع البشري والتواصل ضمن المنظومة المجتمعية التي لا يريد أن يفارقها.

ثانياً: الداعي الاجتماعي:

إذا ما رجعنا إلى معنى كلمة عرب في اللغة العربية نجدها تعني الفوضى. وهذا يدلُّ على حياة البداوة غير المستقرّة[1]. لكن ذلك لا يسمح لنا أنّ نقول كانوا غوغاء جمع منتشرين في الأرض متنصلين مثل الغجر. فالعرب كانوا يتكيفون مع البيئة في ذلك المكان وهذا التكيف فرضه ذلك الواقع المرير. يرتحل إلى المكان الذي يجد فيه أسباب المعيشة حيث يتوفر الكلأ والماء. فمنهم من احترف الزراعة فاستقر وعاش حياة نصف حضرية ومنهم من بقي منتقلاً عن متطلبات المعيشة إلا أنّه ظلّ توّاق إلى حياة الاستقرار والعيش في ظل الهيئة المجتمعية التي تقوم في أساسها على العشيرة وعنصرها الرئيس و«وحدتها الأسرة التي تمثّل الواحدة منها الخيمة أو البيت. والحي عبارة عن مضرب من مضارب الخيام. وأعضاء الحي يطلق عليهم لفظ قوم. وتتألّف القبيلة من أقوام أو عشائر تربطها أواصر النسب وينظر أبناء العشيرة الواحدة بعضهم إلى بعض كأبناء دم واحد وهم يؤدّون الطاعة لرئيس واحد وهو كبير أعضاء العشيرة سنّاً. ويتداعون إلى الحرب بصيحة واحدة. ويرجع اسم عشيرة في الغالب إلى الجد الأول الذي تنتسب إليه»[2].

وقد كانت العشيرة تجمع أفرادها تحت نظام مشترك يلتزم به كلُّ الأفراد وقد كانت رئاسة العشيرة تقرر بالتشاور كبارها الاستمرار أو البقاء بحسب توزع الماء والكلأ وتوفره

1-هبو ، أحمد، تاريخ العرب قبل الإسلام ص:93.

2- حتى ، فيليب ، تاريخ العرب ، دار الكشاف للنشر والطباعة 1951م، دط، ص: 28،.

وكان أفراد القبيلة لا يبدون أي اعتراض أمام قرار الانتقال إلى مكان آخر لأنّ هناك مصلحة اقتصادية تجمع الجميع. وهؤلاء الأفراد أمضوا حياتهم وهم يحرصون على وحدة القبيلة. لا يسمحون لأحد بالاقتراب أو تعكير صفو العشيرة وفق قوانين سنّتها القبيلة وذلك لحماية بعضهم على أساس الرابطة التي تربطهم وهي رابطة الدم، فكلُّهم أبناء عمومة يتهالكون في الدفاع عن بعضهم مهما كانت عظمة الخلاف الداخلي بينهم حيث إنَّ «القبيلة هي عماد الحياة في البادية. بها يحتمي الأعرابي في الدفاع عن نفسه وماله حيث لا (شُرَطَ) في البوادي تؤدب المعتدين ولا سجون يسجن فيها الخارجون عن نظام المجتمع وكلّ ما هنالك (عصبية) تأخذ الحق. وأعراف يجب أن تُطاع»[1]. وهذا ما دفع الأعرابي للالتزام بتعاليم القبيلة إلا ما ندر, واضطرت القبيلة لخلعه عنها.

فَعنترة رُغمَ قوته وبسالته ينظر إلى حالته بنظرة واقعية رغم الألم الذي لاقاه من قومه ولم يخرج عنهم بل يستبسل في الدفاع عنهم والذود عن كَرامتهم. يقول[2]:

المـــالُ مـــالكُم والعبـــدُ عبـــدُكم فهل عذابُك عني اليومَ مصروفُ
تنســى بلائــي إذا مــا غــارةٌ لَقِحَــت تخــرجُ منهــا الطُّــوالاتُ الســراعيفُ
يخــرجنَ منهــا وقــد بُلّــت رحائِلهــا بالمــاءِ يركضــها المُــردُ الغطــاريفُ
قد أطعنُ الطعنةَ النجلاءَ عن عُرُضٍ تصــفرُّ كــفُّ أخيهــا وهــو مَنــزوفُ
لا شــكَّ للمــرءِ أن الــدَّهرَ ذو خُلُــفٍ فيـــه تفـــرَّق ذو إلـــفٍ ومـــألوفُ

فأكثر ما يلفت الانتباه في حياة عنترة هو اشتراكه في العديد من الحروب وتلك سمة المجتمع القبلي الجاهلي لا يشذّ عنها، وإن كان يتميّز بعلو الذكر وبعد الصيت وحبه

1- علي ،جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج4، ص:313.

2- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، قدَّم لـه ووضـع فهارسـه وهوامشَـهُ: مجيد طـراد، دار الكتـاب العربي، بيروت، ط1، 1992، ص:99.

لابنة عمّه فهذا لا يمنعه أبداً من الخروج على تعاليم وأعراف القبيلة التي احتوته وكانت المأوى الرئيس له.

فعنترة قد عاش مدةً من عمره مُسترقّاً لم يعترف به أبوه وكان هذا كافياً لأن يدفعه إلى أن يسير في طريق الصعاليك إلّا أنّه لم يغادر أهله وقبيلته وإنّما كان يحسّ بارتباطه بأمه وأبيه وقبيلته ولو من جهة واحدة وهي جهة أمه وإذا كان بعض الأغربة قابلوا قبائلهم بالوجه السلبي. فخرجوا عن قبائلهم فإنّ عنترة قد واجه قبيلته بالوجه الإيجابي ولم يخرج عنها إلى أن صبر ونال حريته وذلك في سعيٍ حثيث منه ولم تكن بطولته فرديةً ذاتيةً في شعره بل كانت مرةً ذاتية ومرةً قبلية. إذ إنّ ارتباطه زاد بعد أن اعترفت القبيلة بحريته وقد ذكر في غير موضع عن أهمية توحد القبيلة وأن النصر لا يكون من جهته فحسب بل بالتعاون بين أفراد قبيلته فهم أصحاب دمٍ مشتركٍ والمروءة والنخوة تدفعه إلى الالتزام بالدفاع عن القبيلة. ولا ننسى سحيماً في هذا المضمار رغم أنّه لا يوجد رابطة دمٍ تربطه مع بني أسد إلا أنّه تربّى بينهم وأحسّ نفسه أحد عناصرهم وقد برز ذلك في ديوانه وهو يمدح معاركهم ويتحدث بصيغة الأنا دليلاً منه على اشتراكه في غزواتهم وَبلاءه بلاءً حسناً في حروبهم. يقول[1]:

بنـــي أســـدٍ ســـيرُوا جميعـــاً فقَـــاتِلُوا ... مَعَـــدَاً إذا اربـــدّت بِشـــرّ جُلُودُهـــا
أرى أســـــداً والحمـــــدُ للهِ أصـــــبحَتْ ... علـــى خيـــرِ حـــالٍ والإلـــهُ يَزيـــدُها
ونحنُ جَلَبْنَا الخيلِ مِن جانبِ الغضى ... إلـــى أنْ تلَاقَـــتْ بالرشـــاءِ جنُوُدُهـــا
ويَـــومَ بنـــي كعـــبٍ تَرَكْنَـــا سَـــراتَهُم ... علـــى آلـــة لَـــزْنٍ قليـــلٍ عَديـــدُها

1- سحيم، ديوان ، ص:49 – 50.

إذن العصبية هي الأساس الذي تقوم عليه العشيرة ونظامها المفروض على كلّ شخص يعيش في القبيلة (الحر والمولى والحليف...) وكلٌّ يَعمَلُ العمل الموكل إليه ومن يخالف التعاليم مصيره الطرد والخلع وَيهدر دَمَه لا مُعين وَلا نَصير.

فالواجب المفروض على الأفراد هؤلاء، الفرد في هذه القبيلة. يدافع عنها ويذود عن حياضها ويأتمر بأمرها. وكل ذلك فُرض عليه بحكم العادة في ذلك الوقت فقد كان الرضوخ تحت لواء القبيلة أحد العادات والتقاليد السائدة حتى إذا كانت القبيلة على خطأ وربما تكبر هذه القبيلة وتتعدد فروعها إلا أنّها تعود إلى نسبها القديم وقد يضطرّ الأمر بهذه الفروع الصغيرة إلى التوحّد لدرء خطر محدق دفاعاً عن نفسها . فالذكريات القديمة لا تموت وتبقى تسري في عروق العربي. ذكريات النسب والقربى. لأنّ العربي إذا خسر نسبه فذلك خسرانٌ كبيرٌ وما أصعب الحياة بدون نسب ويحدث ذلك عندما يرتكب العربي جريمة ضمن نطاق العشيرة فيودي به إلى الفرار «ولقد قضت شريعة البادية القديمة أنّ الدم لا يغسله إلا الدم فكان لا يقبل جزاء آخر غير أخذ الثأر. إلا في بعض الحالات حين يقبل أهل القتيل الديّة»[1].

فَالعرَبيُّ لا ينسَى ثأره أبداً مهما مرَّ بهِ الزمن فقد «روي أنَّ الشَّنفرى قدم مكة وبها حزام بن جابر فقيل له: هذا قاتل أبيك فشدّ عليه فقتله ثم سبق الناس على رجليه ثم قال قصيدة ومنها هذه الأبيات[2]:

أَلا أُمَّ عَمْـــرو أَجمَعَـــتْ فَاســـتقلَّتِ وَمَـــا وَدَّعَـــت جِيرَانَهَـــا إِذْ تَوَلَّـــتِ
إِذَا فَزِعُـــوا طَـــارَت بِـــأبيَضَ صَـــارِمٍ وَرَامَـت بمَـا فِـي جَفْرهَـا ثُـمَّ سلَّتِ
حُسَـامٌ كَلـونِ المِلـحِ صَـافٍ حَديـدُهُ جُـــرَازٍ كَأقطَـــاعِ الغَـــديرِ المُنعَّـــتِ

1- عبد الرزاق الخشروم، الغربة في الشعر الجاهلي، ص:24.

2- ديوان الشنفرى، جمعَهُ وحققه وشرحَهُ: د. إميل بديع يَعقُوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1996م، ص:35-38.

تَرَاهَـــا كَأَذْنَـــابِ الحَســـيلِ صَـــوادِرَاً وَقَـــد نَهلَـــت مِـــن الـــدِّمَاءِ وَعلَّـــتِ
قَتلنَـــــا قَتـــــيلاً مُجرِمَـــــاً بِمُلبَّـــــدٍ جِمَارَ مِنًى وَسطَ الحَجِيجِ المُصَوَّتِ
جَزينَـا سَـلامَان بـن مفـرج قَرْضَـهَا بمـــا قَـــدَمَت أَيـــديهِم وَأَزلَّـــتِ
وهُنِّـــئَ بـــي قَـــوْمٌ وَمَـــا إِنْ هَنَـــأتُهُم وأَصبحتُ فِـي قَـوْمٍ وَليسُـوا بِمَنْبِتِـي

بدأ الشاعر بالحديث عن المرأة التي هاجرت دون أن تودع جيرانها فقد اتخذت رأياً جعلت من الطرف الآخر مهمّشاً لا رأي له. وما هذه المرأة إلا تلك القبيلة التي حكمت عليه بالخروج بسبب قراراتها التعسفية، ولا يخفى الأمر علينا أنّ الشاعر يحنّ إلى أيام القبيلة والتي يشعر بالغربة بدونها لكنّه يريدها قبيلةً مثالية تحفظ كرامته وتجعله إنساناً محفوظ النسب غير مهان فكنّى عن القبيلة المثالية بالمرأة المحتشمة ثمّ يصفها بوصفٍ لا مثيل له يبدي غربته في غيابها أنها خيال غير موجودة[1]:

فَـــوَا كَبِـــدا عَلَـــى أُميمَـــةَ بعـــدمَا طَمعت، فَهَبْهَـا نِعمـةَ العَيشِ زَلَّـتِ
فيَـــا جَـــارَتي وَأَنـــتِ غَيـــرُ مَليمَـــةٍ إِذْ ذُكِـــرَتْ وَلا بِـــذَاتِ تَقلَّـــتِ
لَقَـد أَعجبَتنِـي لا سُـقوطَاً قِنَاعُهَـا إِذَا مَـا مَشَـت وَلا بـذَاتِ تَلفُّـتِ

يحنُّ الشاعر إلى حياةٍ مليئةٍ بالاستقرار وهو في مكانٍ لا نصير ولا مجير. وبعدها يدخل في مناسبة القصيدة. وكيف شفى غليله بقاتل أبيه الذي لم ينسى ثأره وهو في ذلك المكان المقدس إلا أنّه ذكر في مطلع قصيدته المرأة فكانت معادلاً موضوعياً للقبيلة الرئيسة التي اتخذت قرارات مجحفة بحقه فاضطرّ إلى التعويض بأميمة المرأة المتخيلة المعادل الموضوعي للقبيلة التي يتمنى أن تكون عليها الشاعر. وكل ذلك إشارات وأمارات تدلُّ على الشرخ الكبير الذي أحدثته الغربة في حياة الشاعر من الألم والفقر والحرمان وهذا أحد العوامل الاجتماعية في الغربة بالإضافة للعوامل الجغرافيّة

1- ديوان الشنفرى، ص:32.

والاقتصادية ومواقع الغنى وتوزيعهم في شبه الجزيرة العربية. والذي كان تمركزه مكة التي كان لها الأثر الكبير في الحياة الاجتماعيّة في العصر الجاهلي وتأثيره الكبير في الغربة على حياة ذلك العربي.

ثالثاً: المرأة:

المرأة كانت دافعاً من دوافع الشجاعة والفروسية سواء أكانت أمّاً أم حبيبة والآن تُعَد المرأة هنا من الدواعي المهمة التي تجعل الشاعر يشعر بالغربة في جميع الحالات بعيداً عنها أم قريباً وقد ذكرها الشاعر في مقدمة كلِّ قصيدة لما فيها من أثرٍ كبيرٍ في سير حياته ولاسيما المرأة الحبيبة.

يقول سحيم في فراق من أحب والغربة في غيابها تمزق أَحشَاءه[1]:

عُميـــرةٌ ودّع إن تَجهْـــزَت غَاديـــاً كفَـى الشَّـيبُ والإسـلامُ للمَـرءِ ناهيَـاً
جُنونـاً بهـا فيمَـا اعتَشـرنَا عُلالَـةً علاقَـــةَ حُـــبٍّ مُستَســـرَّاً وَباديَـــا
لَيـــالي تَصـــطَادُ القُلـــوبَ بفَـــاحِمٍ تَـــرَاهُ أثيثَـــاً نَـــاعِمَ النَّبـــتِ عَافيَـــا
وَجِيـــدٍ كَجِيـــدِ الـــرِّيمِ لَـــيسَ بِعَاطـــلٍ مِـن الـدُّرِّ واليَـاقُوتِ والشَّـذرِ حَاليَـا

يتذكر الشاعر تلك الأيام التي أصبح فيها بعيداً غريباً عن حبيبته التي فقدها وأصبح بدونها غريباً.

تُعَدّ المرأة في حياة الشاعر الغراب الملاذ الذي لجأ إليه في ظلِّ الظرف الذي عاشه بسبب سواده. كما أنّها أحد أهمِّ أسباب هذه الغربة فعندما طلب عنترة ابنة عمّه لم

1- ديوان سحيم، ص: 16-17.

يعطوها إياه بسبب سواده. فغادر أهلها بها إلى بني شيبان. فقال في ذلك عندما تركته غريبا بدونها[1]:

يَـا طَـائرَ البـانِ قـد هيَّجـتَ أشـجَانِي وَزِدْتنـــي طَرَبَـــا يَـــا طَـــائِرَ البَـــانِ
زِدْنِـي مِن النَّوحِ وأَسعدنِي عَلَى حزنِـي حتَّـى تـرَى عَجبَـاً مِـن فَـيضِ أَجفَـانِي
وَقِـفْ لِتَنظُـرَ مَـا بِـي لا تَكُـن عَجِـلاً وَاحْـذَر لِنَفسِـكَ مِـن أنفَـاسِ نِيرَانِـي
وَطِـرْ لعلَّـكَ فِـي أَرضِ الحِجَـازِ تـرَى رَكْبَـاً علَـى عَـالجٍ أَو دُونَ نُعمَـانِ
يَســـرِي بجَاريـــةٍ تنهـــلُّ أدمُعُهَـــا شـــوقاً إلـــى وطـــنٍ نـــاءٍ وَجيـــرَانِ

بقي الشاعر حزيناً وحيداً دُون مؤنسٍ أو حبيبٍ بعد فراق حبيبته فلجأ بذلك إلى الطبيعة فأنسن الطائر الذي كان الملاذ الوحيد للشاعر كي يبثّ شكواه إليه. وكأن الطائر يغني أغنيةً عاطفيةً تؤجج المشاعر في ذات الشاعر الذي وجد كينونته ووجوده في ذات ذلك الطائر. فبعد أن عجز عن إثبات الإنسانية في نفوس البشر الذين ازدروه واحتقروه لسواده وأبعدوه عن حبيبته لسببٍ ليس له ذنبٌ به فما كان منه إلا أن ابتعد عن الكائن الإنساني إلى خلق صفات إنسانية في كائنٍ آخر من غير تلك الفصيلة، فكان ملاذاً للشاعر في بثّ شكواه له وإرساله لإيصال رسائله إلى حبيبته البعيدة عنه الموجودة في قلبه. فالشاعر يلجأ في الخطاب الشعري إلى مكنونات وظيفية تخرجه من حالة انعزالية إلى حالة تفاعلية تجعله يشعر بكينونته الإنسانية مع كائنات غير إنسانية كما فعل عنترة مع الطائر الذي آنس وحشته والليالي التي تصطاد وحشة سحيم في غياب حبيبته. وعلى هذا لم تكن المرأة ذات سبب ثانوي في غربة الشاعر الغراب. إنّما كانت ذات وجود بطابعٍ فعّالٍ. يجعل من الشاعر إنساناً كئيباً حزيناَ. فقد استعاض سحيم بالمرأة على غربته فهو ينسى الغربة النفسية داخله بوجوده بين النساء والحرائر البيض فلا يشعر بكينونته إلا بوجودهنّ حوله. كما أنّ الشنفرى وجد في المرأة المثال القبيلة المثال التي يتمنى أن

1- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، ص:196.

يعيش بها فلم يجد أفضل من استخدام نسق المرأة للتعبير عمّا في داخله من نزوع إنسانيٍّ حادٍ إلى الاستقرار الذي كان يبحث عنه في غربته المادية في الصحاري و الفلوات. وكما هو متعارف عليه المرأة هي سكن الرجل وملاذه الوحيد. فعندما خلق جلّ وعلا آدم عليه السلام لم يتركه وحيداً. إذ خلق معه حواء كي تؤنسه وتشعره بوجوده. فعندما خلق حواء خلقه من ضلعه. إلا أنّ الرجل ظلّ وراء ذلك الضلع الذي فقده كي يحصل عليه فلا يجد طمأنينته إلا بوجده. فهي العامل الأكبر في استقراره النفسي.

رابعاً: الدَّاعي النَّفسِي:

إنّ الإنسان العربي سليم الفطرة. توّاق إلى الحرية ولا يستطيع إلا أن يكون حرّاً. عاش في مكان لا أنهار فيه ولا زرع. وقد أكسبته هذه الطبيعة القاسية طباعاً نفسية قلّما تتواجد في الشعوب الأخرى, فقد كان يفترش الأرض ويلتحف السماء وليس لديه أي مانع من هذا. مادامت كرامته محفوظة.

يقول ابن خلدون في وصفه: «متوحشٌ. نهَّابٌ. سلاَّبٌ. إذا أخضَع مَملكةً أسرَع إليها الخَراب. يصعب انقياده لرئيس. لا يُجيد صناعة. ولا يحسن علماً. ولا عنده استعداد للإجادة فيها. سليم الطباع. مستعد للخير, شجاع»[1].

إنّ حياة الجاهلي مجبولةٌ علَى المَخاطِر وَذلك بحكم ما حوله. ما جعله يحمل صفات متناقضة كالرعونة في مواقف. والرّقّة في مواقف أخرى. فهو: «عصبي المزاج. سريع الغضب. يهيج للشيء التافه. ولا يقف هياجه عند حد وهو أشد هياجاً إذا جرحت كرامته أو انتهكت حرمة قبيلته وإذا اهتاج أسرع إلى السيف واحتكم إليه»[2].

1- ابن خلدون ، المقدمة ، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، ص:262.

2- نفسه، ج1، ص:265.

يبدو أنّه استمدّ صفاته من ذلك الجو الحاد المتقلّب. فكما أنّ الجو ليس لديه حلّ وسطيٌّ في البرود والحرارة. والمطر والجفاف. كذلك العربي. ليس هناك حدٌ لمحبته أو كراهيته. فإذا أحبَّ بذل نفسه وإذا كره بذل نفس عدوّه. إذا عاهد صدق وإذا غزا وغنم وزّع غنائمه على سواه رغم أنّه بذلك في ذلك حياته، لديه من الصفات ما يدعو إلى الصدمة لتناقضها الشديد وكل_ذلك بسبب الطبيعة الصحراوية. «الطبيعة هي التي صيّرت العرب على هذه الحال وهي التي غلبت عليهم البداوة. إذ حرمتهم من الماء. وجاءت عليهم برمال تلفح الوجوه. وبسمومٍ مؤذيةٍ وبحرارة شديدة متسعة تظهر وكأنها بحر من رمل لا حدّ له. حيّرت من ولد فيها إنساناً قلقاً هائماً على وجهه يتنقل من مكانٍ إلى مكان. بحثاً عن ماء و أكل»[1].

ورغم العيش في تلك الفلوات وعدم الوقوف عند الحدود في البرية و إلا أننا لا نستطيع القول بحرية العربي المطلقة لأنّه كان يعيش ضمن قبيلة لها أعراف وتقاليد لا يستطيع أن يتجاوزها أو يخرج عنها. إذن «يخطئ من يظن أنّ البداوة حريةٌ لا حد لها وفوضى لا يردعها رادع، إنّ الأعراب فرديون لا يخضعون لنظام ولا لقانون على نحو ما يتراءى للحضري أو للغريب، إنّهم في الواقع خاضعون لعرفهم القبلي خضوعاً صارماً شديداً وكل من يخرج على ذلك العرف يُطرد من أهله ويتبرّأ قومه منه ويضطر أن يعيش طريداً أو صعلوكاً»[2].

تلك صفات نفسية شملت العربي ككل, العربي الحر الذي كان يملك نفسه. فما الظروف النفسية التي جبل عليها العبد الغراب؟

1- نفسه: ج4، ص:280.

2- المفصل في تاريخ العرب، ج1 ، ص:277.

لم يجد العبد ذاته في ظلّ عبوديته. فقد كان مأسوراً مسلوب الإرادة. لا يملك من أمر نفسه شيء إلا أن الدماء التي تجري في جسده دوماً تنشد الأفضل وكان أفضل ما يتمناه هو الحرية. ثم ماذا بعد الحرية ؟

أخذ عنترة حريته بقوة ذراعه بعد أن اعترف أبوه بذلك. كما أنّ خفافاً أخذ حريته باكراً. إلا أنّ سحيماً لم يفرح بها. فالمشكلة الأعظم في حياة هؤلاء لم تكن الحرية فحسب. إنّما كان هناك أمر لا تستطيع قوة في تلك الصحراء تغييره. إنّه الجلد الأسود وذلك اللون الذي ظل يطاردهم في كل الأوقات مما جعلهم غرباء عن المجتمع طيلة حياتهم حتى بعد نيلهم الحرية. إن غربة الأغربة لم تكن معادلاً للطبيعة القاحلة التي ألحوا عليها في مطلع كلّ قصيدة وإحساسهم الشديد بالطبيعة التي سببته يد القدر وفرقتهم عن ديارهم وأحبتهم فحسب. بل كانت معادلاً للون الأسود إضافة لقوة الطبيعة فالإنسان العربي اغترب. إنَّما الغُرَاب اغترب مرتين. مرة مع نفسه إزاء الوسط المحيط الذي ازدرى لونه. ومرة عندما ركب ناقته متوجهاً إلى مكان يبحث عن ظروف معيشه أحسن من المكان الذي تركه وراءه بما فيه من ذكريات. إنّ غربة اللون لدى الأغربة أسقطتهم في أصعب أنواع الغربة فلم تشفع أفعالهم البيضاء بتغطية جلودهم السود. يقول عنترة[1]:

ينـادونني فـي السـلمِ يَـا بـنَ زبيبـة وعنـدَ صـدامِ الخيـلِ يـا بـن الأطايـبِ
ولـولا الهـوى مـا ذلّ مثلـي لمـثلِهم ومـا خَضَـعتْ أُسُـدُ الفـلا للثعالـبِ
سـيذكرُني قَـوْمِي إذا الخيـلُ أصـبحتْ تجـولُ بهـا الفرسـان بـينَ المضـاربِ

مهما بذل الغراب من شجاعة أمام قومه إلا أنّهم لم ينسوا لونه الذي لم تغطّه أفعاله ما جعل الشعراء الأغربة يعوضون بذلك بجميل صنعهم وبجودة شعرهم.

1- التَّبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، ص:35.

يقول سحيم مفاخراً بخلقه وجودة شعره[1]:

لَـيسَ يُـزْرِي السَّـوَادُ يَومَـاً بـذي اللُّــ ـــبِّ ولا بـــالفَتَى اللَّبيـــبِ الأَدِيْـــبِ
إِنْ يَكُـــن للسَّـــوَاد فـــيَّ نَصِـــيْبٌ فَبيَـــاضُ الأَخـــلاقِ مِنـــهُ نَصـــيبِي

يبدو أنّه جرحٌ غائرٌ في النفس لم يندمل مادام صاحبه على قيد الحياة وهذا ما جعل الغراب يعيش قلقاً بسبب رفضه من المجتمع، والغربة هنا لم تكن في الحنين إلى الوطن بل في الحنين إلى الذات المفقودة الذات الهائمة الباحثة عن الإنسانية التي تشعره بكينونيته المهمشة في عيونهم ما جعلهم يتجهون إلى ما حولهم غير الإنسان يجعلهم يجدون أنفسهم عندما يؤنسنون أشياءَ وهم في ذروة حالتهم الانفعالية وفي ذلك «يدور بمشاعره حولها ومعها أو يمزج أصالته بها أو ينصهر فيها وعن الحالة الأولى نقول: إنه متعاطفٌ معها. وعن الثانية متحدٌ بها. وعن الثالثة منعدمٌ فيها. وهذه الحالات الثلاث لون واحد من الترابط إلا أنّ الترابط في كلّ منها ليس واحداً لأنّ الفرق بين أنماطه الثلاثة كالفرق بين المشاركة والاتحاد والحلول»[(2)].

فعندما لجأ الشاعر إلى العالم الخارجي هرباً مما يعتمل في داخله إلى من حوله فجعل الأشياء تقوم بدورها الإنساني الجديد لتساعد في خلق جوٍّ يريد أن يحققه كي تشاركه المعاناة والقهر اللذان عملا في نفسه جراء الشيء الخارجي الذي فيه. وذلك هو السواد القاتم الذي جعله غريباً عن الإنسانية والإنسان في المجتمع القبلي.

خامساً: اللون:

1- ديوان سحيم، ص: 54 – 55.

2 – أحمد، د. مرشد، أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط3، 2003م، ص:7.

عانى الغراب منذ اللحظات الأولى لولادته من الحرمان وذلك نظراً لولادته غير الطبيعية. المنافية لقوانين القبيلة. فقدّم كلّ ما يملك من قوةٍ وشجاعة كي ترضى القبيلة عن سواده، فحاول الذود عن حياضها ودفع الشر عنها. إلا أنّ بعضهم لم يرضَ بما تنصه قوانين القبيلة ولم يستسلم لما كان فيه إذ إنّه وجد نفسه لقمةً سائغةً في فم الأحرار وما كان منه إلا أن انسلخ عن قبيلته متجهاً للسلب والنهب و الصعلكة ومنهم من رضي بواقعه وبقي عبداً يسعى إلى لقمة عيشٍ تقيته وتقيت أبناءه. وعلى هذا الأساس نشأ عند هؤلاء الأغربة: الغربة والاغتراب. الغربة لمن فرضت عليه، فما كان منه إلا أن يعيش غربة نفسية في ظل القبيلة التي تجاهلت جراحهم التي لا تندمل بسب بعدهم عن المجتمع ونبذه إياهم للسواد الذي لم يختاروه لأنفسهم ومنهم من اغترب. أي ابتعد واختار لنفسه العيش في البراري على ظاهرة النبذ في المجتمع.

إنَّ هَذا اللَّون ولَّد في نَفسِهِم غُربةً مُستعصيةً, فَعَنترة مثلاً «عانى عقدة اللون وهو في قمة انتصاراته»[1].

عنترة ذلك الفارس درع القبيلة وحاميها وكل ذلك لم يشفع له ولا لخفاف الذي اعترف به والده باكراً.

إلا أنّ الأول كان يقال له ابن زبيبة في أيام السلم والثاني كان يقال له ابن ندبة. رغم شهرتهم الواسعة بالقوة والفروسية. فبقي سواد جلودهم شاهداً على عبوديتهم. يقول عنترة:

ينـادونني فـي السـلمِ يَـا بـنَ زبيبـة وعنـدَ صـدامِ الخيـلِ يـا بـن الأطايـبِ

1- علي البَطل، اللون وأثره النفسي في شعر عنترة العبسي، ص:20.

وَلا يَخفى عَلى الجَميع أنّ السُّليك عندمَا قطع الوَشائج الَّتي تربطهُ بالقبيلَة بسبب سَواده كان السَّبب الرئيس لتصعلكة وَخُروجه عَلى القبيلة[1].

إذن كان اللون عند هذه الفئة أحد أهم مسببات الغربة إذ إنّه كان محاطاً بالغمز واللمز في الظاهر و العلن مما ولّد في ذواتهم العقد النفسية التي جعلتهم يشعرون بالدونية والانحطاط. فمهما حاول الغراب الوصول إلى أعلى درجات الانتصار يفشل حيث إنّه عندما يعود يجد سواد في عيون الناس وكأنه لم يفعل شيئاً فكل شيءٍ في هذه الحياة يعكس ألمهم «فلقد تحكّم أثر اللون بنفوس هؤلاء الشعراء وأحاسيسهم مما جعل أشعارهم أصداء خبايا وجدانهم وتجليات وعيهم الجمالي للأشياء من خلال ألوانها فانطبعت بشخصياتهم وامتزج الذاتي بالموضوعي في عقدة القيم الجمالية التي عبّروا عنها»[2].

وقد حاول الغراب التخلص من رقة العبودية والذل والتكيف مع المجتمع وإظهار عقدة النقص على أنّها سببٌ من أسباب التفوق وقد حاول ذلكَ عنترة كَقوله[3]:

أنَــا العَبــدُ ألَــذِي خُبِّــرْتِ عَنــهُ يُلاقِــي فــي الكَريهَــةِ ألَــفَ حُــرِّ

فقد تَعمَّدَ الشَّاعِرُ مُلاقَاةَ أَلفِ حُرٍّ ولم يقل ألف فارس وذلك لأنّه طرح في صدر البيت (أنا العبد) فأقام بذلك مقارنة بين العبد والحر, فجعل ألف حُرّ مقابل عبد واحد فمن هذا العبد؟ إنّه عبدٌ غير عادي. عبدٌ يُجَابه آلاف الأحرار. عبدٌ أدمت العُبودية روحه. وألبت عليه حياته ونغصت معيشته. فجعل كل هذا الألم بما فيه من نقصٍ ودونية إلى تفوق وقدرة على ذلك الحر سليل الأشراف. وبالطبع عمد الغراب إلى توجيه حياته إلى

1- ديوان الشنفرى ويليه ديوانَا السُّليك بن السلكة وعمر بن براق، إعداد وتقديم: طلال حرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1996، ص:73.

2- زغريت، خالد، جماليات تأثير اللون في شعر الأغربة والجاهليين، رسالة ماجستير مقدَّمة في كلية الآداب بجامعة البعث، بإشراف الدكتور أحمد علي دهمان، 2007، ص:7.

3- التَّبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، ص:86.

جهة الكمال والحرية هارباً من ألم السواد. وذلك بواسطة الأعمال الحسنة والأخلاق العالية والبسالة في المعركة إذا فرضت عليهم المعركة.

ولا غرو أنّ الأغربة حَاوَلُوا التخلص من هذه المحنة إلا أنّهم لم ينجحوا في ذلك فإذا ابتعدوا عن المكان الذي ولدوا فيه، بقي سواد جلودهم حاجزاً في حلهم وترحالهم، يلاحقهم أنى حطّوا فعندما اتجه الصعاليك الأغربة إلى الاغتراب فضّلوا البقاء في الصحراء و تحمل مخاطرها على البقاء في القبيلة تلحقهم السبة في كل مكان، كما كان «يفاخر الغربان بسوادهم ولكنه الفخر الذي يعني تعويضاً عن النقص. إن إحساسهم بهوان منزلتهم وبِضَعَة مكانتهم في المجتمع القبلي القائم على العصبية يجعلهم يسجلون مفاخر أخرى غير مفخرة اللون والنسب فهم يتحدثون عن أخلاقهم وفروسيتهم وحسن صنيعهم بين الناس»[1].

يقول عنترة وَقد لاقى صُنوف العَذاب والإهانة بسبب سواده إذ إنّه كان مكروهاً[2]:

أَمــن ســميَّةَ دَمْــعُ العَــينِ تَــذريفُ لَـو أنّ ذَا مِنـك قبـلَ اليَـومِ مَعـرُوفُ
تَجلَّلتنِـــي إذ أَهـــوَى العَصَـــا قِبَلِـــي كأنَّهَـــا صَـــنمٌ يُعتَـــادُ مَعكُـــوفُ
المَـــالُ مَـــالكمُ وَالعَبـــدُ عَبـــدُكُم فَهـل عَـذابُكَ عنِّـي اليَـومَ مَصـرُوفُ
تَنسَـى بلائـي إذَا مَـا غَـارةٌ لَقَحَـتْ تخـرُجُ منهَـا الطُّـوالات السَّـرَاعيفُ

ثمة اعتراف صريح من الشاعر بأنّه عبدٌ لا قيمة له ولا حول له ولا قيمة ولا يجد ذاته إلا عند اشتداد الحرب

وَهَذا خفاف يقر بوضَاعةِ مَنزلتِهِ. يقولُ[3]:

1- الغربة في الشعر الجاهلي ص 97.
2- التَّبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، ص:99 – 100.
3- ديوان خفاف بن ندبة، ص:108.

فَكِلانَـــــا يُسَـــــوِّدُهُ قَومُـــــه علَـــى ذَلـــكَ النَّسَـــبِ المُظْلِـــمِ

ذكرنا بَعض مَلامح السَّواد والشعور بالغيض في ليل السواد المسيطر على هؤلاء ومن المفاخرة بالأخلاق والفروسية. يقول عنترة وهو لا يجد غضاضة في إعلان انتسابه إلى العرق الأسود[1]:

وَأنـــا المُجـــرَّبُ فـــي المَـــوَاطنِ كلِّهَـــا مِـــن آلِ عَـــبْس مَنصـــبِي وَفِعَـــالي
مِـــنهُم أبـــي حَقَّـــاً، فَهُـــمْ لـــي والـــدٌ، وَالأمُّ مـــن حَـــامٍ، فهـــم أخـــوالي

ويقولُ:

يُعِيبـــونِ لـــوني بالســـوادِ جهالـــةً ولـــولا ســـوادُ الليـــلِ مـــا طلـــعَ الفجـــرُ

ويقولُ[2]:

وإنْ كـــانَ جلـــدي يـــرى أســـودُ فلـــي فـــي المكـــارمِ عـــزّ ورتبـــة
ولـــو صـــلتِ العـــربُ يـــوم الـــوغى لأبطالهـــا كنـــتُ للعـــربِ كعبـــةُ
ولـــو أن للمـــوتِ شخصـــاً يُـــرى لروعِتـــــه ولأكثـــــرت رغبـــــة

وهكذا كان اللون حجر عثرة في طريق الأغربة رغم أنّهم حاولوا طمس السواد بأفعالهم البيضاء إلا أنّ غربة اللون ظلّت لصيقة بهم وهم على علمٍ كاملٍ بأنّ هذه الحقيقة ثابتة مهما حاولوا طمسها و«الشعراء السود كانوا على وعي بالهوية الاجتماعية التي يتحركون ضمن حدودها لذا كانوا لا يتحرجون من صفة العبودية التي كانت ملتصقة

1- التَّبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، ص:117.
2- نفسه، ص:29.

بهم و إن كانوا أحراراً أحسوا أن عبوديتهم لسوادهم كانت بها وصارت هويتهم التي تحيلهم إلى تلك الفئة الصامتة المحاطة بالتابوهات الاجتماعية»[1].

وعلى هذا كان هؤلاء ضحية ألوانهم البعيدة عن الجمال فأسقطت حقهم بالوجود الحر. فكانوا غرباء وأغربة. أغربة بسوادهم. وغرباء لسوادهم وكان ذلك أحد أهمّ الأسباب في إبعادهم عن المجتمع. فكان ذلك مثل الموت في تغييبهم.

سادساً: الموت:

لم ينشغل الإنسان كما شغلته فكرة الموت ولم يثر لبَّه أفكار مثل هذه الفكرة وعلى هذا فعلاقة الإنسان بالفناء علاقة حياة وتعتمد هذه العلاقة على الوجود فوجود إحداهما الآخر يعني فناء الطرف الآخر حتى يثبت العكس وكأنّ الإنسان في صراعٍ عريقٍ مع الموت للبقاء على قيد الحياة فعنترة يثبت نفسه أمام الموت ويتحداه ويشجّ رأسه بسيفه. يَقولُ[2]:

إذَا مَا لَقيتُ المَوتَ عَمَّمتُ رأسَهُ بسَيفٍ على شُرْبِ الدِّمَا يَتَجْوهَرُ
سوادي بياضٌ حين تَبدو شَمَائلي وفعلي على الأنسابِ يزهو ويفخرُ

عنترة في صراع مع الموت حيث إنه أنسن الموت وشجّ رأسه بسيفه فقد ابتدأ البيت ب إذا الشرطية ظرف لما يستقبل من الزمان يؤكد بذلك على التوق للقاء الموت وهزيمته فبعد إذا اتبعها بما الزائدة فأكد شجاعته من جهة وجعل الموت شيئاً ثانوياً لأنّه

1- كاظم: صورة الاحرار في شعر الشعراء السود ص 37.
2- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، ص:79.

قال في حال لقائي الموت سوف أشج رأسه وقد أراد بذلك الوصول إلى البيت التالي الذي يثبت بياض أفعاله التي غلبت على سواد جلده وضعة نسبه فكان بذلك الموت ندّاً له يقطع رأسه إذا ما انتقص من قيمته فكيف إذا حاول أي إنسان ذلك.

ومن هذه الفكرة تبقى رغبة الإنسان في الحياة أكثر حضوراً واستحواذاً على مشاعره وفكره؛ لأنّه يعرف أنّ الموت لا مفرّ منه مهما حاول الابتعاد عنه، فكان من شجاعة عنترة وإقدامه تحدي الموت إذ إنّ حلم الإنسانية الأكبر هو القضاء على الموت لكن الصدمة بالواقع أقوى منه وهذا ما يجعله يفكر بغربة الموت فعندما يغيبه الموت يغترب بنفسه وعندما يغيب أحد أحبائه يغترب بفقد رحيله المؤلم، فأكثر شيء يترك أثراً في النفس هو الموت فالموت غربة قسرية بحد ذاته. غربة فجع يتركها الفقيد في نفس من تعلّق به.

الموت مضاد للإنسان مضاد للألفة التي تزول بالموت. مضاد للوجود الإنساني. الأساس في كلّ شيء، إنّ حتمية الموت قضت على فكرة الخلود وهذه الفكرة لم يعِها سوى الإنسان الذي أدركها من خلال تجربة الحياة فـ«إنّ الموت موضوعة قديمة تمثلها الإنسان منذ القدم وقد طرح (شورون) تاريخية الموت كإجابة عن سؤال يقول: متى اكتشف الإنسان الموت؟

فأجاب بشاهد من (فولتير) عندما ذهب إلى القول بأنّ البشري هو الوحيد الذي يعرف أنّه سيموت وهو يعرف ذلك من خلال التجربة. ومعنى ذلك أنّ الحيوان ليس لديه ولا حتى الإحساس الغامض بقرب نهايته وأنّ الإنسان هو الوحيد الذي لديه إدراك واضح بالموت ويذهب (شورون) إلى أنّ الإنسان البدائي لم يستنتج من حالات الوفاة التي شاهدها أن الموت ضرورة حتمية للوجود البشري. وإنّما كان يردّه باستمرار إلى عوامل شديدة وأنّ هناك قطاعات كبيرة من البشر يعتقدون اعتقاداً جازماً بالحياة الأخرى بعد

الموت فكأنّ الموت في هذه الحياة الدنيا ليس نهاية كل شيء وإنّما هو نهاية لضرب من الحياة وبداية لضرب آخر منها»[1].

وعلى هذا كان هناك تحدٍّ واسع لهذه القوة الغيبيّة التي لم تفرّق البشر وتنقلهم إلى عالم آخر لا يمكن اللقاء وإطفاء نار الشوق وقهر الغربة إلا بعناق الموت ذاته لتكون نقلة لحياة أخرى.

قد برزت فلسفة الوجود في نظر الإنسان الجاهلي في قصيدة الرثاء حيث إنّ «الرثاء من الفنون التي جوّد فيها الشعراء لأنّه تعبير عن خلجات قلبٍ حزين. ومنه لوعة صادقة وحسرات حرّة. ولذلك فهو من الموضوعات القريبة إلى النفس لأنّ الرثاء الصادق تعبير مباشر قلّما تشوبه الصنعة أو التكلّف»[2]. لذلك يمكن القول إنّ مسألة الحياة والموت ترتبط بحالة الاغتراب بجوانبها كافة.

وهذا ما وجدنا في أبيات عنترة التي رثا فيها زهير بن جذيمة فيها يقول[3]:

خُسِفَ البَدرُ حِينَ كان تمامَا وخَفَى نورُهُ فعَادَ ظَلامَا
ودراري النجوم غَارتْ وغابتْ وضياءُ الآفاقِ صار قِتَامَا
حين قالوا: زُهيرُ ولّى قتيلاً خيّم الحزن عندنا وأقاما
قد سقاه الزمان كأس حمام وكذاك الزمان يسقي الحِماما
كان عوني وعدتي في الرزايا كان درعي وذابلي والحُساما
يا جفوني إن لم تجودي بدمع لجعلت الكرى عليك حراما
قسماً بالذي أماتَ و أحيا وتولّى الأرواحَ و الأجساما

1- شورون جاك، الموت في الفكر الغربي، ترجمة كامل يوسف، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ص: 8.

2 - الجبوري، يحيى، الشعر الجاهلي: خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 3، 1982، ص:311.

3- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، ص:138.

لا رفعتُ الحسامَ في الحربِ حتّى أتركَ القومَ في الفيافي عِظَاما
يا بني عامر ستلقون برقاً من حُسامي يَجِري الدماء سجاما
وتصبح النساء من خيفةِ السب ي وتبكي على الصغارِ اليتامى

لقد ترك أثر فراق جذيمة لدى الشاعر والقبيلة لوعةً كبيرةً وقد اغترب كلُّ شيء في غيابه وقد شاركت الطبيعة الشاعر بهذا المصاب البدر والليل والنجوم والزمان والجفون إذ إنّه منحها صفاتٍ إنسانية وتشترك في غربته التي وجدت بغياب سيد القبيلة وقد تعمد ذلك كي يخفف من معاناته ويجد من يتألم لهذا المصاب. فالشاعر لم يذكر أحداً من أبناء القبيلة واتجه إلى الطبيعة فهي الوحيدة التي تشترك معه بصفات خُلقية ولم تعيره بسواد جلده وبضعة نسبه من جهة أمه وعلى هذا أدخل العامل الإنساني الذي يريده. الذي يعامله على أنّه إنسانٌ وكأنّه يبحث عن الجانب الإنساني الحق. البعيد كل البعد عن الجدل والنفاق الاجتماعي وكأنّه أراد خلق مجتمع إنساني يعطي الإنسان قيمته الحقيقية. فالليل والقمر والزمان يشهد على أفعاله البيضاء التي طغت على سواد جلده.

وعلى هذا يمكن القول إنّ مسألة الحياة والموت ترتبط بحالة الاغتراب بجوانبها كافة ولاسيما عندما يفقد الإنسان شخصاً عزيزاً يشعر بالغربة الروحية بغيابه. فقد أحسّ الشاعر الجاهلي بالموت إحساساً حاداً فكلّ الأشياء حوله قاسية. والعلاقات الإنسانية مضطربة وغير مستقرة. مليئة بالخوف والقلق والبؤس والشقاء. وقد كان سبب تمرد هؤلاء الأغربة على مجتمعاتهم هو الشعور بأنّ الحياة بلا معنى وبلا هدف. والإحساس المستمر بأنّهم أقل منزلة عن غيرهم وذلك من نظرة الازدراء والاحتقار المستمرة إذ أنّهم كلما حاولوا الاندماج والتكيف مع المجتمع. ازداد المجتمع بعداً عنهم. وجفاءً لهم. وكَان هذَا الانفصَال اللاَّمنطقي وَغير المُبرر بمثابة موت لهم، فهم محاطون بكل أسباب الموت. الذل وانحباس المَطَر والشُّعور بالعَدَم.

وعلى هذا تعود في النهاية إلى الموت وعلى هذا كان الغراب في غربة صراعه مع الحياة، فكانت المعادلة لديهم متعددة الوجوه. فالحياة الذليلة مقابل الموت وعندما يموت يطلب البكاء على نفسه عند وفاته ويطلب السقيا لقبره. فإذا لم يستطع التواصل معهم وهو على قيد الحياة فقد تمنّى أن يكون صادق الشعور معهم وأن يحقق التواصل الإنساني بينه وبين الآخرين بعد أن عجز عنه أثناء حياته، فالحياة تتوقف بسبب بعده عن الناس وتنتهي عند الفقد والموت وذلك بسبب ضعف الإنسان أمام هذه القدرة العجيبة وهي الموت. ومن ذلك عندما رثت أمّ السليك[1]:

طـــــافَ يبغـــــي نجـــــوةً مِـــــن هَـــــلاكٍ فهلـــــكْ
ليـــــتَ شـــــعري ضـــــلّة أيُّ شـــــيءٍ قَتَلَـــــكْ

يبدو أنّ غربة الموت أفجعت وغيبت ابنها المعروف بشجاعته, فعندما ذهب هذا الابن لينجو بنفسه من غربة المجتمع وكدره. وجد الموت أمامه وما يلفت الأنظار في هذه المرثية قولها:

سَـــــأُعزّي الـــــنّفسَ إذْ لـــــمْ تجـــــبْ مَـــــنْ سَـــــأَلك

وكأنّها تريده ألا يحدّث أحداً أبداً بسبب العداء الذي أضمروه له وهو على قيد الحياة وقد قتلوه قبل أن يموت عندما أبعدوه وجعلوه يجوب الفلوات فهي لا تريد أن يحدّثهم حتى بعد مماتهم.

1- ديوان السليك بن السلكة أخباره وشعره، جمع وتحقيق حميد ثويني وكامل سعيد عواد، مطبعة العاني بغداد، ط1، 1984م، ص 10.

وهكذا فإنّ الموت من عوامل الغربة المهمة ومن الدواعي التي جعلت الإنسان يشعر بلوعة الفقد لأنّه لا لقاء بعد اليوم. وهذا ما يجعل القلب يتفطّر لوعةً وحرماناً وغربةً قسرية ليس لأحد يداً فيها إلا قدرة الموت القهرية التي لم يصمد أمامها أحد.

فالإنسان عندما يسمع خبر كهذا لا يصدقه وذلك من هول المصاب الذي ينزل مثل الصاعقة على نفسه.

يقول خفاف[1]:

أتـــــاني حـــــديثٌ فكذّبْتُـــــه وقيـــلَ خليلـــك فـــي المـــرمسِ
فيـــا عـــين أبكـــي حُضَـــيرَ النـــدى حُضَـــير الكتائـــبِ والمجلـــسِ
ويـــــوم شـــــديد أُوارِ الحديـــــد تقطّـــع منـــه عُـــرى الأنفُـــس
صـــليتَ بـــه وعليـــك الحديـــدُ مـــا بـــين سَـــلعٍ إلـــى الأعـــراسِ
فَـــأَودى بنفسِـــكَ يـــومَ الـــوغى ونُقـــيُ ثيابـــك لـــم تـــدنَسِ

وقع خبر وفاة حُضَير على الشاعر مثل الصدمة. وكأن الشاعر فقد وعيه لهول المصاب الجلل فقد استخدمه صيغة الفعل الماضي (أتاني – كذبته – صليت – أودى) بين مكذّب ومصدّق للخبر حيث أكده بهذه الأفعال وظل الحزن مستمراً باستخدام الفعل المضارع (أبكي).

وكأنّ الحزن سيبقى في داخله ما عاش. إذ إنّ غربة فراقه سوف تكون حاضرة في المعارك والمجالس ويوم المسغبة. فلحُضَير حضور في كل المحافل الحسنة وهذا ما جعل فراقه غربة على الشاعر فقد كان مهاباً لا يقف في وجهه أحد.

يقول في موضوع آخر[1]:

1– ديوان خفاف، ص: 70.

لـو أنّ المنايـا حِـدْنَ عـن ذي مهابـة أَهِـبْنَ حضـيراً يـوم أَغْلَـقَ واقمـا
أطـاف بـه حتـى إذا الليـل جنَّـه تبـوّأ منـه منـزلاً مناعمـاً
وأودَيـنَ بالرجـال عُـروة قبلـه وأهلكـنَ صـيّاد الفـوارس هاشـما
وهـوَّن وجـدي أننـي لـم أكـن لـه كطيـر الشِـمالِ ينتـف الـريش حاتمـا

لقد ترك الموت لوعة لا تنطفئ. عاش الفاقد غربة بغياب المفقود الذي كان حبيباً أو نديماً أو ابناً... كان يعد بمثابة المؤنس الذي يعينه على تقلبات الدهر فاضطر الشاعر إلى اللجوء إلى الطبيعة وأنسنتها بمنحها الصفات الإنسانية كي تعينه على مصابه بعد غياب العنصر الإنساني في حياة الأغربة.

خاتمة:

ويتعين على كلامنا إنّ غربة الغراب عن ذاته كانت بسبب السواد الذي خلق عليه والذي ابتلى فيه. فعندما كرهت العرب الغراب ذلك الطائر الذي يجلب الشؤم فقد كرهت هذا العبد لأنه يذكّرها بذلك الطائر المشؤوم. وعندما ابتعد هذا الغراب عن المجتمع تداخلت في نفسه أشياء كثيرة جعلته يحنّ إلى ماضيه رغم ما فيها من مساوئ وقد يكون هذا لتطهير نفسه.

نتائج البحث:

1- تبيّن من خلال الوقوف على مأساة الأغربة أن السبب الرئيس هو النسب المغموز وهذا ما عاشه عنترة فقد ظلت كلّها تعيسة بسبب لونه وبسبب الفترة

1- نفسه، ص: 72 – 73.

الزمنية التي رزح بها تحت نير العبودية حيث إننا لم نشهد هذه المعاناة عند خفاف لأنه نال حريته باكراً.

2- كانت عملية النبذ لهؤلاء الأغربة سببها الرئيس هو اللون الأسود الذي توشحوا به والذي لا يمكن الانسلاخ منه فهم أغربة ومن هنا جاءت تسميتهم بهذا الاسم .

3- كانت العادات والتقاليد الحاكم الوحيد الذي تحكّم بمصير الأغربة فعنترة مثلا لم ينل حريته إلا بعد أن أظهر نجابة في الدفاع عن القبيلة حيث إنّ حريته كانت تصبّ في مصلحة القبيلة ككل بينما سحيم ظل عبدا فلم يكن أصلا من أبٍ حرٍ وهنا كان للأب دور في نيل الغراب حريته مثل عنترة وخفاف .

4- فقدان الأمل بالاندماج كان سبباً لتعهر بعضهم مثل سحيم، فبعد أن باءت محاولاته بالفشل في التسلل إلى لبِّ القبيلة والشعور بالحرية لجأ سحيم إلى التسلل إلى عقر دار السادة البيض حيث إن النساء في ذلك الوقت لا يجدن حراً في الظهور أمام العبيد وكانت هذه فرصة سحيم في نيل ما يصبو إليه في التمتع بالرؤية والاقتراب من نساء السادة البيض.

المَصادِر والمراجِع:

المصادر:

1. القرآن الكريم
2. ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط3، 1414هـ، مادة غرب، ج1.
3. التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، قدَّم له ووضع فهارسه وهوامشَهُ: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1992.

4. ديوان السليك بن السلكة أخباره وشعره، جمع وتحقيق حميد ثويني وكامل سعيد عواد، مطبعة العاني بغداد، ط1، 1984م.
5. ديوان الشنفرى ويليه ديوانَا السُّليك بن السلكة وعمر بن براق، إعداد وتقديم: طلال حرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1996.
6. ديوان الشنفرى، جمعَهُ وحققه وشرحَهُ: د. إميل بديع يَعقُوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1996م.
7. ديوان خفاف بن ندبة، جمع وتحقيق: الدكتور نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف بغداد، 1967م، د ط.
8. ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، تحقيق عبد العزيز الميمني، القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية، 1950م، د ط.
9. الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، تحقيق مكتب تحقيق التراث، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط8، 2005م، القاموس المحيط مادة غرب .

المراجع:

1. إبراهيم، د. جودت، منهجية البحث, مديرية الكتب والمطبوعات، 2007–2008م.
2. أحمد، د. مرشد، أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط3، 2003م.
3. الجبوري، يحيى، الشعر الجاهلي: خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 3، 1982، ص:311.
4. حتى ، فيليب ، تاريخ العرب ، دار الكشاف للنشر والطباعة 1951م، دط

5. الخشروم، د.عبد الرزاق، الغربة في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد كتاب العرب، 1982م، د ط.

6. زغريت، خالد، جماليات تأثير اللون في شعر الأغربة والجاهليين، رسالة ماجستير مقدَّمة في كلية الآداب بجامعة البعث، بإشراف الدكتور أحمد علي دهمان، 2007م
7. شورون جاك، الموت في الفكر الغربي، ترجمة كامل يوسف، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.
8. علي البَطل، اللون وأثره النفسي في شعر عنترة العبسي، دط ،دت.
9. علي ، د جواد،المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي ، ط4، 2001م.
10. كاظم:علي، صورة الاحرار في شعر الشعراء السود ، د ط، دت،
11. هبو ، أحمد تاريخ العرب قبل الإسلام،منشوارات جامعة حلب ، سورية،1990، دط.

أنسنة المعنويات في شعر الأغربة في العصر الجاهلي

أ.د. جودت إبراهيم*

بسام أحمد المجدل**

ملخَّص البَحث

الأنسنة هي إضفاء صفات الإنسان على غير الإنسان سواء أكان مادياً أم معنوياً، وذلك بالتوجه إلى غير الإنسان ثم عقلنته، فقد بحثت هذه الدراسة في أنسنة الأشياء المعنوية عند الشعراء الأغربة و ما دوافعهم إلى ذلك.

لقد كانت الطبيعة من الروافد المهمة التي رفدت أفكار وتجربة الشعراء الشعرية فقد كانت من أكثر الأشياء التي يعشقها الشاعر الغراب إذ لجأ إليها بعد أن تخلّى عنه المجتمع بأسره بسبب الظروف التي أحيطت به لسواد بشرته و لنسبه المغموز، فبعد أن نُفي عن المجتمع مادياً ومعنويا، اتجه الشاعر بخلجات نفسه المتعبة إلى تلك الطبيعة الغناء الرحبة بمعنوياتها ومحسوساتها، وقد اخترنا هنا البحث في المعنويات المؤنسنة التي ارتبطت بذات الشاعر، عند عنترة وخفاف؛ لأنهم الأغزر شعراً ، وقد توصل البحث إلى أنّ المعنويات المُؤنسنة عكست معانٍ عميقة ودفينة، وأيضاً عبّرت عن مشاعره الدفينة التي كانت تبري روحه قبل جسده وتأكله من الداخل كما تأكل النار الحطب.

الكلمة المفتاحية الأنسنة، الأغربة، الزمن، الموت. المعنويات

* الأستاذ الدكتور جودَت إبراهيم، أستاذ في اللغة العربية وآدابها – جامعة البعث.

** طالِب دراسات عليا في شعبة الدراسات الأدبية، في كلية الآداب، جامعة البعث.

Abstract

The inadinth is the characteristics of human in person, whether physical or moral and so on orientation to the meaning of the man and thus styled, this study has discussed in the humanity of moral objects at the urgent poets and what they are motivated. The nature of the task of the task that fell ideas and experts of poetry was one of the most affected things that the poet raven was resorted to it after giving up the community as a family because of the circumstances he had surrounded by his skin and for his skin Al-Khdouz, after denying the community physically and moral, the poet was attacked by the same tired villas to that nature to sing and their senses and we have chosen here to search for the moral moral, which has been linked to the same poet, and the search has been reached The moral moral rewards is deep and died, and they expressed his reputation that was turning his soul before his body and eat it from the inside as you eat firewood.

Key words: the crow- time-death –poetry of black arab - sentment

مقدمة:

لجأ الشاعر في العصر الجاهلي إلى وسائل فنيّة تساعد المتلقي على قراءة النص الشعري قراءةً مليئة بالدقة والمنهجية السليمة، ومن هذه الوسائل الفنيّة والإبداعية هي (الأنسنة)، ونقصد بها إضفاء الشاعر صفات إنسانية لكلّ ما يحيط به من موجودات مادية ومعنوية، فقد اسند الشعراء الصفات الانسانية إلى أشياء من غير الإنسانية، فقد منحوها صفاتٍ إنسانية، وهو الأمر الذي جعلها تتحاور وتشتكي و تتألم، فقد أصبحت ذات روح و فاعلية في النص الشعري.

إنّ الشعراء قد أسندوا هذه الخاصية إلى غير الإنسان سواء أكان مجرداً معنوياً أم محسوساً مادياً مما كان لها أثرها في إغناء القصيدة؛ الأسباب التي جعلتها من أهمّ عناصر الترميز والتي جعلت الشاعر يغوص في مجاهيل اللغة وكنهها الأخّاذ في محاولةٍ تكسير العرف المتداول وهو أنّ الإنسان هو مصدر القول والكلام والحس والألم وما إلى هنالك من أفعال وأحاسيس لا تصدر إلا من الإنسان ذلك الكائن الفريد من نوعه في عالم فضلّه الله على سائر المخلوقات.

إذن خلع الشعراء تلك الخصيصة على الأشياء المعنوية، ومنها الزمان، حيث إنّ هذه الظاهرة مرتبطة بحياة الشاعر بكل مجرياتها، ولا يمكن تصور حياة إنسانية خارج إيقاع الزمان فالحياة الإنسانية حلقةٌ لا تخرج عن الحاضر والماضي والمستقبل[1] فكما حاصر المكان الإنسان فيما سبق كذلك حاصر الزمان الشاعر الغراب فيما يأتي

1 فوغالي، د. باديس الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الجديد، الأردن، ط1،2008م، ص 101

مشكلة البحث:

من أهم مشكلات اختيار الموضوع هي كثرة الآراء في الأنسنة، وكان هناك بعض الصعوبات، منها تعدد تعريفات مصطلح الأنسنة، وأيضاً التغاضي عن المفاجأة التي يتركها الشاعر للمتلقي عندما يؤول العمل الفني، فضلاً عن المدلولات العميقة والغزيرة للشعراء الجاهليين، إذ إنّه نص متجدد يفتح أفاق المتلقي إلى كثيرٍ من التأويلات.

هدف البحث:

سعت الدراسة إلى تحديد ماهية المصطلح ثُمّ تقصّيها في نماذج شعرية من شعر الأغربة، لما لها من قيمة أدبية بين أوساط النقاد قديماً وحديثاً.

أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث في تطبيق أنسنة المعنويات على نماذج شعرية متميزة من شعر الأغربة، ولا سيما عندما تمَّت دراستها في قصائد شعرية عالية من أشعار العرب.

منهج البحث:

اعتمدنا في هذه الدراسة المنهج التحليلي الوصفي لكي تتحقق الغاية المرجوة من البحث في تذوق النصّ الجاهلي وتقصي الأنسنة في شعر الأغربة على مستوى المواقف الإنسانية التي اعترضت الشاعر في رحلته، إذ يعدُّ نمطاً من أنماطِ التفكيرِ العلمي وطريقةً من طرقِ العملِ، يعتمدُ من أجلِ تنظيمِ العملِ العلمي والدراسة والتحليل لبلوغ الأهدافِ المطلوبةِ من البحثِ [2].

[2] إبراهيم ، د. جودت ، منهجية البحث , مديرية الكتب والمطبوعات 2007-2008م ص292.

الدراسات السابقة:

من الأبحاث التي تناولت هذا المصطلح الدكتور(مرشد أحمد) في دراسته الموسومة بـ(**أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف**) ثم بحث فيها الدكتور (حسن ناظم) في كتاب **أنسنة الشعر مدخل إلى حداثة أخرى: فوزي كريم أنموذجاً** والأنسنة في الشعر الجاهلي للدكتور حكمة أسعد شافي و أنسنة الحرب في الشعر العربي ما قبل الإسلام ل سؤدد الحميري ، و طرح هذه الفكرة محمد أركون عندما أراد من الشعر أن يلتحم بحس الرسالة الإنسانية.[3]

تمهيد:

الأنسنة هي إضافة صفات إنسانية على غير الإنسان؛ أي النزوع إلى الأشياء المغايرة للإنسان مادية كانت أم معنوية، حيث إنّ لهذا المفهوم دلالات كثيرة في النقد الحديث، إلا أنّ هناك اختلاف فيه لأنّ هناك من جنح إلى الفكر الفلسفي فيه وهناك من جنح إلى الفكر البلاغي، فهناك الكثير من النقاد الذين درسوها، كلٌّ حسب وجهة نظره فالدكتور مرشد أحمد حدد مفهومها بقوله: «صفات إنسانية محددة على الأمكنة والحيوانات والطيور والأشياء والظواهر الطبيعية حيث يشكّلها تشكيلاً إنسانياً ويجعلها كأيّ إنسانٍ يتحرك وتحسّ و تعبّر و تتعاطف، وتقسو حسب الموقف الذي أُنسنت من أجله»[(4)]. وعلى هذا يكون خصّها الباحث بالمعنى البلاغي له القريب من التشخيص كما هو متعارف عليه أو من الاستعارة،

[3] - أركون ، محمد، ترجمة هاشم صالح، معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية،دار الساقي ،ط1،بيروت لبنان،2001 ص8

4- أحمد، مرشد، أنسنة المكان في رواية عبد الرحمن منيف، ص7.

فالإنسان عندما يضع صفاته على الأشياء التي ليست من جنسه فإنّه يجعلها قريبة منه ومرتبطة بمكوناته الداخلية والنفسية، فكانت القصدية المتوخاة من هذه في نفس الشاعر هي ربط الذات الداخلية مع المكونات الخارجية فينتج من اتحادها حالةً فريدةً مليئة بالشجون والقلق والثبات والاضطراب في نفسه، فعندما كان يلجأ الغراب إلى إضفاء صفاتٍ على الفرس أو الظليم أو المكان فقد أراد بذلك تطهير روحه وتطهير مجتمعه من أدناسه فهو يريد ملء النقص الإنساني الذي انعدم في الواقع كي يكون عونا وسنداً له في ظل ظروف لا تسمح له بأن يتابع حياته مثل غيره، وهذا الظرف الاستثنائي شمل الغراب بصفةٍ خاصة، ومن غير المنطقي أن يقول: إنّ من أنسن الموجودات هو الغراب فقط لأنّ الكثير من الشعراء استخدم هذه التقنية في شعره إلا أنّ تخصيصنا له أنه استخدم هذا الأمر بكثرة وكأنّه استخدمه سلوة وعزاءً لنفسه فالغراب «يؤنسن تجليات العالم الخارجي ويدخلها إلى عمله الفني ويدعها تقوم بدورها الإنساني الجديد لتسهم في خلق المناخ العام الذي يطمح أن يحققه وليجعلها تتجاور مع الإنسان ومشاعره وأفكاره كي تشاركه المعاناة والقهر والفرح في الحياة»[5]، ونحن نعرف أن القهر الذي أصاب الغراب لم يُصب أحداً من قبله وذلك جراء انقطاعه عن عالمه الإنساني الذي أراد العيش به بكلّ تفاصيله الجميلة والجليلة حيث إنّه أراد الكثير من الاقتراب والشعور بوجوده وكينونته فلم يُفلح فما كان منه إلا أن لجأ إلى هذه الطريقة الفنية كي تساعده على تفعيل التواصل مع الوسط الخارجي، فعندما حمل غير الإنسان صفات الإنسان أثار لدى المتلقي تواصلاً عاطفياً مما أدى إلى صياغة عالمٍ يعزز التواصل والتواؤم بينهم، فطبيعة الشعر هي أن يُضمّن الشاعر أهدافه الموجودة خارج الشعر

5- نفسه، ص8.

داخل مكنونات الشعر، كي تتحقق شروط الأنسنة حيث إنّ النصّ الشعري يمارس دوره في الحياة عبر هذا التضمين[6].

أنسنة الزمن:

أخذ الزمن اهتماماً كبيراً من قبل الفلاسفة والعلماء ولاسيما الشعراء لما له من علاقة وطيدة بالإنسان، إذ إنّ الإطار الزماني يشتمل على الوجود، والعدم، والموت، والحياة، والحضور، والغياب يسيطر على الحياة بكلّ مكوناتها فلا يمكن لأي إنسان الخروج من هذه الدائرة فالزمن «كأنه وجودنا نفسه، هو إثبات لهذا الوجود أولاً ثمّ قهره رويداً رويداً بالإبلاء آخرَ، إنّ الزمن هو كلّ الكائنات ومنها الكائن الإنساني، يتقصّى مراحل حياته ويتوج في تفاصيلها بحيث لا يفوته منها شيء ولا يغيب منها فتيل كما تراه موكلاً بالوجود نفسه، أي بهذا الكون يغير من وجهه ويبدل من مظهره فإذا هو الآن ليل وغدا نهاراً وإذا هو فصل الشتاء وإذا هو ذاك الصيف»[7].

إذن الزمن ذو فعالية دائما تختلف باختلاف الوقت، هو الحاضر والماضي والمستقبل وعلى هذا هو نسيج الحياة الداخلي الذي يمثل وجودنا الواقعي من حيث أنّه غير مرئي.

الزمن لُغةً:

6- ناظم، حسن أنسنة الشعر (مدخل إلى حداثة أخرى، فوزي كريم أنموذجاً، ص 11

7 مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، ع 24، المجلس الوطني للثقافة، الكويت 1998م، ص 199.

أورد ابن منظور «زمن: الزمن والزمان اسم لقليل الوقت وكثيره وفي المحكم: الزمن والزمان والعصر والجمع أزمن وأزمان وأزمنة، وزمن زامن: شديد وأزمن الشيء: طال عليه الزمان والاسم من ذلك الزمن والزمنة، و أزمن المكان: أقام به زماناً وعامله مزامنة وزماناً من الزمن وقال شمر: الدهر والزمن واحد، قال أبو الهيثم: أخطأ شمرٌ والزمان زمان الرطب والفاكهة و زمان الحر والبرد قال ويكون الزمان شهرين إلى ستة أشهر قال: الدهر لا ينقطع قال أبو منصور: الدهر عند العرب يقع على وقت الزمان من الأزمنة وعلى مدة الدنيا كلّها، قال سمعت غير واحد من العرب يقول أقمنا بموضع كذا وعلى ماء كذا دهراً، وإن هذا البلد لا يحملنا دهرا طولاً والزمان يقع على الفصل من فصول السنة وعلى مدة ولاية الرجل وما أشبهه وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعجوز تحفّى بها في السؤال وقال كانت تأتينا أزمان خديجة: أراد حياتها»[8]، وعلى هذا يكون الزمن في اللغة مدة من الوقت وبعضهم ربطها بالدهر، فكانت النتيجة أن الزمن والدهر واحد وهو ما يدلّ على مدة زمنية، فما يكون في الاصطلاح.

الزمن اصطلاحاً:

يعدّ الزمن من أهم العناصر في بناء العمل الأدبي، فمن غير المعقول أن توجد قصيدة من دون إطار زمني يحتويها، فالشخصيات والأحداث لا يمكن أن تتحرك إلا في إطارٍ زمني، ولا يمكن للشاعر أن يبيّن سطوة الزمن أو الدهر عليه إلا من خلال تحديد عامل الزمن الذي فُرض عليه و الشاعر الغراب مأسورٌ بالوقت الذي هو فيه بحيث لا يستطيع الانفلات منه إلا بحالة التقدم في الزمن وتغيّر المفاهيم، فالذي كان عبداً بالأمس اليوم ربما يكون حراً «فحركة الزمن المصاحبة للتحول والتبدل تكمن في تغيّر الأشياء

8 ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين، لسان العرب ، دار صادر بيروت،ط3، 1993م . ج13 مادة زمن

لتنبثق أشكال جديدة على غرار انهيار الأشكال القديمة... فيكشف عن مستوى وعيها بالوجود الذاتي والمجتمعي»[9].

وثمة فرقٌ بين الزمن الذي يكتب به الشاعر قصيدته وزمن التذكير لهذه القصيدة لأن الشاعر قد يستشهد وهو في موقف لاحق، فربما يسترجع زمن العبودية بعد أن صار حراً لمجرد أنّ أحداً ذكّره بعبوديته أو أصله المغموز لأنّ الزمن الذي يسيطر على الشاعر هو ذاك الزمن القديم الذي استبسل به أو ظُلم أو أصابه لعين بهزٍ أو غمزٍ، وقد يكتب الشاعر قصيدته لزمن سابق استحوذ عليه سواء أكان لقاءً أم مغامرةً أم حرباً لأنّه في ذلك «يستخدم هيكلاً زمنياً معقداً يتم التعبير عنه بواسطة تقنيات هي: الاسترجاع والاستباق والتزامن والتراكيب»[10]، حيث إنّ الزمن يتحرك ثم يعود في دائرة مغلقة وذلك بحسب ما تقتضيه الطبيعة، فلا يمكن لفصل الشتاء أن يذهب ولا يعود مثلاً، إلا أنّ هذا الزمن الفلكي لا يمكن أن يُقاس مئة بالمئة على حياة الإنسان، فزمن الألم قد يذهب و زمن الفرح قد يذهب ولا يعود، أمّا حياة الأغربة مع الزمن فقد تكون دائرة في حلقة مغلقة فلا يلبث أن يشعر الشاعر بحريته المادية إلا وقد هجمت عليه العبودية المعنوية المتمثلة في لونه الأسود الذي لم يغسله بلاؤه الأبيض في المعارك والأخلاق الحميدة في المعاملات اليومية وكأنّ زمنه مثل فصول السنة يذهب تارة ثمّ يعود تارة يقول عنترة[11]:

ينادونني في السِّلم يا بن زَبيبَةٍ وعندَ صِدَام الخَيلِ يا بن الأطايب

9 لبنيني، زهيرة، بنية الخطاب الروائي عند غادة السمان دراسة بنيوية، رسالة ماجستير، جامعة العقيد الحاج خضر، باتنة،2007–2008م، ص158

10 أحمد، مرشد، البنية والدلالة في روايات نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط1، 2005م، ص234.

11– التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، قدَّ : مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1992، ص:35.

إنّ هذه الدورة الفلكية التي يسير بها زمان الشاعر تروح و تأتي، تتعاقب على الشاعر بين الفينة والأخرى ولا تنتهي فهو مسكونٌ بها لا يخرج من ربقتها مهما ابتعد ومهما صال وجال، فهو العبد الأسود ابن زبيبة في زمن السلم وهو الفارس ابن الفرسان في زمن الحرب، فما كان من الشاعر الغراب إلا أن نال الزمن عنده حظاً كبيراً و حقداً بعمق الجرح الغائر في كينونته، فحاول أنسنته بصورٍ شتّى.

وعلى هذا نال الزمن في شعر الأغربة حظاً وفيراً في أنسنته أكثر من غيره من المعنويات، فعومل بذلك على أنّه كائنٌ حيٌّ يشتمل بذلك على كل الألفاظ المتعلقة به مثل (الدهر – اليوم – الحياة) فلا نركز في حديثنا على لفظة زمن فحسب إنّما نركز على كلّ لفظةٍ ضمن هذا السياق، وعندما بحثنا في هذه الظاهرة من حيث أنسنة الزمن عند الشاعر وجدنا أنّ الشاعر ربط كلّ شيء يتعلق بالإنسان مثل الأعضاء والحب والكلام والطعام والشراب، وكأنّهم أرادوا بذلك جعل للزمان قوةً خفيّةً تسيطر عليهم و تأسرهم، وعلى هذا اتضح لنا أن امتلاك الزمن لتلك الأعضاء و ممارسته أفعالاً يقوم بها الإنسان دليل على الرهبة القوية التي امتلكها، فجاءت الأنسنة في ذلك السياق في صورٍ إبداعية وطرافة منقطعة النظير، ومن أولى هذه الصور صورة عنترة الذي طلب من المتلقي سؤال الدهر عن أفعاله في المعارك وذلك في صورةٍ حاقدةٍ على الدهر، الذي أثقل الشاعر بكثرة غزواته عليه، وهنا جعل الدهر قبيلةً لها جبروت و قوة تهجم على الشاعر دائماً، لكنّ الشاعر لم يستسلم لها بل كان يبادلها الردّ وينتصر وفي ذلك الموت شاهداً، وكأنّ هذا الدهر عدوٌ لا يهادن أبداً، فهو دائم الإثقال على الشاعر لا ينفكّ يؤذيه؛ يقول عنترة[12]:

كـمْ يُبعِـدُ الـدّهرُ مَـنْ يَرْجُـو أَقَارِبَـه عنّـــي ويبعـــثُ شـــيطاناً أحاربُـــه

12– التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، ص:28.

فيـا لـه مِـن زمـانٍ كلّمـا انصـرفَتْ صـــروفُه فَتَكـــتْ فينـــا عواقبُـــه
دهـرٌ يـرى الغَـدرَ مِـن إحـدَى طَبائِعـه فيكـفَ يَهنَـا بـهِ حـرٌّ يُصـاحبُه
جرّبتْـــه وأنـــا غـــرٌّ فهـــذبَني مِـن بعـدِ مـا شـيَّبتْ رَأسـي تَجاربُـه
وكيـفَ أخشَـى مِـن الأيَّـامِ نائبـةً والـدَّهر أهـون مَـا عنـدي نَوائبُـه
كَـــمْ ليلـــةٍ سِـــرتُ مُنْفـــرِداً واللَّيـلُ للغـربِ قَـدْ مالـتْ كَواكبُـه

تدخل مخاطبة الدهر وأنسنته في صَميم حياة الشاعر، فقد كان ذلك الدهر إنسانا بغيضاً يعكّر صفو حياة الشاعر، فكلما أراد أن يقترب من شخصٍ معينٍ يأتي ذلك الإنسان بصفاته القذرة ليعكّر الود والصفاء في حياة الشاعر، وقد أطلق عليه مجموعة من الصفات مثل (الفتن – القتل – الغدر– المربي القاسي – المفجع) كل هذه الصفات التي وضعها الشاعر في الدهر موجودةٌ بالإنسان إلا أنّها صفاتٌ سلبية أظهرت حقد الشاعر عليه بما فيه من سلبيات وإيجابيات، وعلى هذا خلع الشاعر على قوة الزمن وسطوته صفاتٍ إنسانية (إيجابية وسلبية) على حسب ما يصفو له وعلى حسب ما يعكر حياته، فالدهر واحدٌ إلا أننا نجد له وجوهاً عدة ؛ فتارةً يفرّق وتارةً يقتل و تارةً يغدر وتارةً يشيّب وتارةً يعلّم يقول عنترة[13]:

يـا عبـلَ! كَـم مـن جَحفَـلٍ فَرَّقتـهُ والجَـوُّ أسـودُ والجبـالُ تميـدُ
فسـطا علـيَّ الـدَّهر سَـطوة غَـادرٍ والـدَّهر يبخـل تَـارةً ويَجُـودُ

ومعَ ذلك كان سخط الشاعر وعدم رضاه واضحاً وظاهراً بشدة وكأنّه هو الذي سيقبض روحه يوماً من الأيام. و لا تنقطع معاناة الشاعر أمام هذا الإنسان الذي يحاسبه على كلّ أفعاله؛ ومن ذا الذي يقف حجر عثرة في وجه عنترة الفوارس؟ نعم إنّه الدهر

13– التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، ص:56.

الذي فاق كلّ قوةٍ، فليس غريباً موقف الشاعر الرافض لتلك القوة المتسلطة التي فرّقت بينه وبين حبيبته يقول[14]:

حَســـنَاتي عنـــدَ الزَّمـــان ذُنـــوبُ وفِعَـــــالي مَذمـــــةٌ وَعيـــــوبُ
ونَصـــيبي مِـــن الحبيـــبِ بُعَـــادٌ وَلغيـــري الـــدنوُّ منـــهُ نَصـــيبُ
كـــلّ يـــومٍ يَبـــري السّـــقامُ مُحـــبٌّ مِـــن حَبيـــبٍ ومَـــا لســـقمي طَبيـــبُ
فكـــأنَّ الزمـــانَ يهـــوى حبيبـــاً وكـــأتِّي علـــى الزَّمـــانِ رقيـــبُ

الظَّاهر من النص أن الشاعر يعاني من هذا الزمان، فقد ملك الدهر كل الموانع والعوائق التي حالت بينه وبين حبيبته الأمر الذي جعله يسخط على الدهر معللا ذلك أنّه أخذ مكان الدهر وأصبح رقيباً عليه أمام محبوبته، حيث إنّ الزمن يتقصد الشاعر لأنّه يفرقه عن حبيبته وهنا أراد الشاعر الزمن الذي وقف عليه رقيباً في التفاتة عبّرت عن عجزه أمام تلك القوة الضاغطة على أنفاسه وبها تكون صورة الزمن مستفحلة في عالم الشاعر الخاص و متمخضة عن تجربته الحياتية ومحمّلة بمشاعر الشاعر القوية والحاقدة على الزمن.

إنّ السمات التي غلبت على الزمن هي الخداع والمكر والتصرف بأهله وعدم الصدق بالوعد، حيث إنّه وصف الدهر بالكذب والخداع وإنّه لا يستقيم لأحدٍ على حال وهي من الأوصاف والصفات اللئيمة والجائرة التي عادة تُلحق بالإنسان[15] يقول عَنترة[16]:

أعاتِـــب دَهـــراً لا يَلـــينُ لِعَاتـــبٍ وأطلـــبُ أَمنـــاً مِـــن صُـــروفِ النَّوائِـــبِ
وتُوعـــدني الأيَّـــام وَعـــداً تغرُّنِـــي وأعلـــمُ حقّـــاً أنَّـــه وعـــدٌ كَـــاذبُ

14- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، ص:27.

15 الجبوري محمد فليح حسن، ماهر صبار فهد: أنسنة الزمان في العصر الجاهلي الشعراء الفرسان اختياراً، جامعة المثنى كلية التربية للعلوم الإنسانية، 2015م، ص 45.

16- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، ص:35.

فيـــا لَيـــتَ أنَّ الـــدَّهرَ يُـــدنِي أحبَّتِـــي إلـــيّ كَمَـــا يُـــدنِي إلـــيَّ مَصـــائِبِي

يتمثل إنساناً أمام الشاعر خصه بالعتاب كي يكون معه مؤنساً صادقاً، و كأنه يطلب من إنسان الأمن على حياته، وقد حضر هذا الشيء في الفعل المضارع (أعاتب)الذي دلّ على استمرار المعركة بينه وبين الشاعر الذي يئس من آلامه وكذبه و خداعه الدائم، فيا ليت هذا الدهر الذي حمل كلّ صفات الإنسان السيئة، ذلك الدهر الذي لا يصدق بوعدٍ أبداً رغم محاولته إظهار الود للشاعر، والوعد له بالوعود المغرية إلا أنّ الشاعر متأكد من كذبه المستمر وقد ثبت ذلك بالتركيز على الأفعال المضارعة (أعاتب – يلين – أطلب – توعدني – تغرُّ) وعلى هذا تكون الإساءة دائمة من قبل الدهر الذي أثقل كاهل الشاعر بالمصائب وقربها له فلو أنّ الدهر قرّب محبوبته مثلما يقرّب عليه المصائب لكان خيراً، ومن شدة جبروت هذا الزمن لا يهادن ولا يساوم مع من يعاتبه، وإذا ما علمنا أنّ وراء كلّ أثر شعريٍّ رغبةً في البوح توصلنا إلى السبب الذي من أجله الشاعر أنسن الدهر بتلك الصورة الوحشية، فهو أراد من خلالها الشكوى[17] من كثرة مصائب الزمن التي أثقلت كاهله وجعلته بعيداً عن محبوبته التي كلما أراد الاقتراب منها جاء الزمن وفرّق بينهما رغم وعوده المستمرة إلا أنّها بطبيعة الحال كاذبة كعادة صاحبها، وبعد هذا لابدّ من عدم إغفال أمرٍ مهمٍّ وهو أن الشعراء الجاهليين لم يكتفوا بإضفاء الصفات الإنسانية البسيطة على الدهر وحسب مثل الأكل والشرب والرؤية و ما إلى هنالك من صفات يقوم بها الإنسان بصورة اعتيادية، بل أضفوا أكثر من ذلك، فقد أضفو على الدهر صفاتٍ أخرى إلا أنّ هذه الصفات سلبية كالكذب والجزع كما قلنا سابقاً بالإضافة إلى الحسد الذي هو صفة إنسانية بامتياز يقول عنترة[18]:

17– الشمري، ثائر سمير حسن، التشخيص في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري دراسة نقدية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1،2018م، ص 206 – 207.

18– التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، ص:56.

يـا عبـلَ! إن تَبكِـي عَلـيَّ فَقَـد بَكَـى صَـرْفُ الزَّمـانِ علـيَّ وَهـوَ حَسُـودُ

وَكما أن الدَّهر مطبوع على الحسد كذلكَ مجبول على البُخل يقول[19]:

طلبـت مـن الزَمَـان صَـفَاء عَـيْشٍ وحَسـبُكَ قَـدرُ مَـا يُعطِـي البَخيـلُ

وهنا نسب الشاعر البخل للزمان، فقد طلب هناء العيش والحياة الرغيدة من الزمان وكأنّه يطلب هذا من رجلٍ بخيلٍ، والنتيجة واحدة وهي عدم الحصول على الرغبة المطلوبة من الزمان أو الإنسان سواء.

لم يقف الأمر عند عنترة فحسب بل أنّ هناك شعراء كعنترة ممن يعيشون في تلك البيئة، فقد أنسنوا كلَّ الأشياء التي تدلُّ على الزمان معاتبين حاقدين عليه مثل خفاف[20] الَّذي تذكَّر حبيبته بَعد أن هَجرت مكانها[21]:

يـا مَـنْ لِقلـبٍ شـديدِ الهـمِّ محـزونِ أمسـى تـذكُّر ريـا أمّ هـارونِ
أمْسـى تَـذكُّر مِـنْ بَعـد مـا شَـطَحت والـدَّهرُ ذو غِلظـة حينـاً وذو لِـينِ
فـإنْ يَكُـن حُبُّهـا أمسـى لنـا شَـجَناً وأصـبحَ الـرأيُ منهـا لا يُـؤاتيني
فقـدْ غنينـا وشـملُ الـدّهرِ يجمعُنـا أطيـعُ ريـا وريـا لا تُعَـاطِيني
تَرْمـي الوشـاةَ فـلا تُخطـي مقـاتلَهم بصـادقٍ مِـن صَـفاءِ الـودِّ مَكنُـونِ
ولِـي ابـنُ عـمٍّ لـه خلـقٍ قـدْ اخْتَلفْنـا فَأُقليـه ويُقلينـي
أزرى بِنـا أَننـا شَـالتْ نعامتَنـا فَخـالني دُونَـه بَـلْ خِلْتَـه دُونِـي

19- المرجع نفسه، ص:117.

20 - خُفَافُ ابنُ نُدْبَة، وهي أمه، وهي: ندبة بنت أبان بن الشيطان، من بني الحارث بن كعب، وأبوه عمَير، ويكنى أبا خراشة، وهو ابن عم صخر وخنساء ومعاوية، أولاد عمرو بن الحارث بن الشريد. وخفاف هذا شاعر مشهور بالشعر، وكان أسود حالكًا، وهو أحد أغربة العرب.

21- ديوان خفاف بن ندبة، ج وت: الدكتور نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف بغداد، 1967م، د ط. ص117 - 118.

يرجع الشاعر فراق المحبوبة إلى سبب تقلبات الزمن فهي مضطربة، أحيانا يجدها متوافقة مع ما يريد وطوراً تأتي عكس ما يريد وعلى هذا كانت صفة الغلظة واللين التي أنزلها الشاعر بزمانه من المعاني المتناقضة إرضاءً لما يعتلج في نفسه من مشاعر وأحاسيس بفقدان الشيء الغالي عليه، فقد كان لهذا المعنى الذهني للدهر بكلّ تناقضاته بما يحتويه من الصفات الإنسانية أمل للشاعر في نظرة تفاؤل كي يجمع شمله مع أم هارون يقول في موضع آخر[22]:

أشــدُّ علــى صُــرُوفِ الــدّهْرِ إداً وآمــرُ مِــنهُم فِيهــا بِصــبْرِ

يقسو الشاعر على بنات الدهر كي يتجاوز المحنة التي فُرضت عليه، بعد أن قست الأيام وصروف الدهر على الشاعر.

لم يتوقف الأمر عند (خفاف) بل تعداه إلى (سحيم) الذي صادت قلبه الليالي يقول[23]:

لَيــالِي تَصــطادُ القلــوبَ بِفَــاحمٍ تَــراهُ أثيثــاً نــاعمَ النبــتِ عَافيــا

وهنا تختلف الليالي عن الأيام التي فتكت بعنترة وخفاف عن الليالي التي أسرت وصادت قلب سحيم، فالليالي التي أسرت سحيماً تمتلك بذلك الشعر الفاحم الذي يشبه الليل بسواده فما كان من الشاعر هنا إلا أن جمع بين أنسنة المعنويات والمحسوسات في

22 نفسه، ص: 52.

23 ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، تح: عبد العزيز الميمني، القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية، 1950م، د ط، ص:17.

صورة واحدة جعلت منه أسيراً للزمان ولتلك الليلة من الزمان التي رأى فيها ذلك الشعر الكثيف يقول في موضع آخر[24]:

حَمَتْـــهُ العشـــاءَ ليلـــةٌ ذاتُ قِـــرةٍ بوعســـاءَ رمـــلٍ أو بِحزنـــانِ خَالِيـــا

وهنا فعلت اللَّيلة فعلتها في حمايته في وقتٍ باردٍ، الليلة الباردة (حمت الثور) إذ إنّه اختفى في ظلامها الدامس عن عيون الصياد وكلابه، وعلى هذا قام ذلك الوقت من الزمان وهو الليل بحماية الثور والتستر عليه وهذا طبعا عملٌ من عمل الإنسان وما هذا الثور إلا معادلاً موضوعياً للشاعر.

لم يكن الزمن عند (سحيم) أكثر وطأة عليه كما رأيناه عند الأغربة، فقد صاده مرةً حباً و تعلقاً به ومرةً حماه من الصياد وكلابه الذين تربصوا به، فما كان من الزمن إلا أن أسدل ستارته عليه فأخفاه تحت كنفه ورعايته مدة زمنية تعدُّ الأقسى في حياة الثور الذي يبحث عن المأوى، لكن هذا لا يمنع من الصفات السيئة للزمن والتي أخذها من الإنسان، فقد كان هذا وكأنّه رجلٌ حقيقي يمتلئ بالصفات السيئة مثل العنف والكذب والخداع والحسد، وكلُّ هذه الصفات مأخوذة من الإنسان إذ لا يرتكبها غيره فالخيانة على سبيل المثال لم توجد إلا في الإنسان ومثلها الحسد.

وعلى هذا ومن خلال ما رأيناه نجد أن الشعراء أنسنوا الزمان بصوره المتعددة (الدهر – اليوم – العام – الليلة) وأضفوا عليه صفاتٍ إنسانيةً سواء أكانت سلبية أم إيجابية، فقد وجدناه قاسياً عند عنترة وطيباً عند سحيم، وهذا يختلف بحسب الحال الشعورية التي تسيطر على الشاعر وبحسب الظروف المحيطة التي تجعله يرضى عنه أو لا، وبكل الأحوال سعى الشاعر إلى توصيل لذة الإبداع من خلال الانحراف عن اللفظ التداولي

24– ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، ص29.

للكلمات وقد ظهر هذا واضحاً عندهم، وقد جعلوا الدهر أحد أهمِّ أسباب الموت بسبب كثرة مصائبه و امتحاناته.

أنسنة الموت:

كان للموت أثرٌ كبيرٌ في حياة الإنسان، فهو الذي يعلن إلغاء وجوده في هذه الحياة، مما دفع الشعر للاهتمام به لتأثيره الكبير في النفوس مما جعله دائماً يحاول البقاء على قيد الحياة.

إنّ للموت الكثير من المرادفات التي وردت في الشعر، أهمها (الرَّدَى – الحمام– البلى– الحتف)[25] وعندما أنسنوا الموت استخدموا هذه الألفاظ للتعبير عن مفردة واحدة وهي الموت يقول عنترة[26]:

رَضــيتُ مُصــاحبةَ البِلــى واســتَوطَنَتْ بَعــدَ البيــوتِ قُبورَهَــا وَلحودَهَــا

عدّ الشاعر المَوت صَاحباً له بعد أن فرغت الديار من أهلها، وعلى هذا اتخذ الشاعر هنا من الموت شيئاً إيجابياً في ظاهره لكنَّهُ سَلبيٌّ في فَحوَاه، فهو العنصر الذي لا يمكن مصاحبته لسَبب العداء العريق وكره الإنسان له، حيث إنّ رغبة الشاعر هنا هي الموت بعد أن قضى هذا الأخير على ساكني البيوت وجعلها خالية من أهلها، فلا حياة للشاعر بعد أهل هذه الديار علّ الموت يصاحبه وينقله إلى الحياة الأخرى على أمل اللقاء مع من أخذه الموت، ولا نكاد نجد في شعر عنترة هذه اللهجة مع الموت فهو دائما

25– التشخيص في العصر العباسي، ص 230–231.

26– التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، ص:51.

يتحداه ويتمنّى أن يواجهه في المعركة حتى يقتله، ولا نستطيع أن نسمي هذا جبن من الشاعر المعروف بشجاعته وإقدامه لكن يمكن تسميتها بحالة يأس مرّ بها الشاعر الذي عاش حياته معظمها في جفا وبعد الناس عنه بسبب الظرف الاستثنائي الذي عاش عليه، فالإنسان قد يموت قهراً في لحظة يأسٍ قاتلةٍ تمرُّ عليه لكنّ عنترة الفوارس يمرُّ بلحظاتٍ أقوى يثبت فيها أمام الموت ويكاد أن يقتله يقول[27]:

إذَا مَا لَقِيتُ المَوتَ عَمَّمتُ رأسَهُ بسَيفٍ على شُرْبِ الدِّمَا يَتَجْوهَرُ

لقد حَظِيَ الموتُ بكمٍّ هَائلٍ من الأعضَاء الإنسانية التي أُضيفت إليه ومنهَا الرأس؛ فهنا جَعل عنترة للموت رأساً يشجه بسيفه ويجعل دماءَه تسير مثل الجَواهر، وذلك في شُعورٍ قويٍّ من الأنفة والكِبرياء وفي دعوةٍ صارمةٍ وهي عَدم الخوف من الموت مهمَا كان قوياً يقولُ[28]:

فلا تخشَ المنيَّةَ وَالْقَيْنْهَا وَدَافِعْ مَا استَطَعْتَ لَهَا دفَاعَا

فقد عَدّ الموتَ إنساناً وَدعا إلى عدم الخَوف منهُ ومواجهته في الحَالات كلّها ومسابقته فِي قبض الأرواحِ، وهنا تحدّي سافر للموت من قبل الشاعر حيث إنّه يتمثّله برجلٍ شجاعٍ يحاول سبقه إلى قتل الأعداء، يقولُ[29]:

وَألتَقِي الطَّعنَ تحتَ النَّقْعِ مُبتِسمَاً والخَيلُ عَابِسَةٌ قَد بلَّهَا العَرَقُ
لَو سَابَقتنِي المَنايَا وَهيَ طَالِبَةٌ قَبضَ النُّفوسِ أتانِي قَبلهَا السَّبَقُ

يسبق عنترة الموت في قطع الرؤوس يقول[30]:

27- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، ص:79.

28- المرجع نفسه، ص:90.

29- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، ص:105.

إنَّ المنيـــة لـــو تَمثَّـــلَ شَخْصُـــهَا لِـــي فِـــي العَجَـاجِ طَعنتُهَـا فِـــي الأَوَّل

حَيثُ إنَّ الموت لَو قابل الشَّاعر أو أنّه حضر في معركة لاستقبله الشاعر بأوّل طعنـةٍ، ثم يقضـي علـى الجميـع لأنّ لـيس هنـاك إنسـاناً بقـوة الشـاعر سـوى هـذا الكـائن المُسمّى الموت الذي جعله الشاعر متسربلاً بدمه يقول[31]:

ولقـــد لقيـــتُ المـــوتَ يـــومَ لقيتـــه مُتســـربِلاً والسَّـــيفُ لـــم يتســـربلِ

يبدو أنّ الحِقد على الموت عَظيم، وربما يكون هَذا الموت العبودية التي لاحقته دائماً، فاضطرَّ الشاعر إلى أنسنتهَا وتسميتهَا باسم المَوت، لأنَّهَا كَانَت بالنِّسبَة لَهُ المَوت الأَكيد الذي برَى جسدَه وأتعَب روحه، فما كان مِن الشَّاعر إلا أن أسماه اسماً مخيفاً، ثم أنسنه كي يكون إنساناً وينال منه الشاعر الذي لا يصمد بوجهه أيُّ إنسان، في حين نجد صور الموت على أنّه إنسانٌ مخيفٌ ولا يخاف منه أحد، وهنا يظهر العجز لدى الشاعر. يقول سحيم[32]:

رَأيـــتُ المَنايَـــا لَـــمْ يَهَـــبْنَ مُحمَّـــدَاً وَلا أَحـــداً وَلـــم يَـــدَعْنَ مُخَلَّـــدَا
ألا لا أَرَى علَـــى المَنُـــونِ مُخلَّـــداً ولا باقيـــاً إلاَّ لـــه المَـــوتُ مُرصَـــدَا

فعندمَا خافَ الموتُ من (عنترة) الذي شجّ رأسه لم يخف من محمَّد، بل قَتله وَقَضى عَليه. وَفي لحظة عَجْزٍ من (خفاف) بعد أن فقد حَضيراً، وفي تبرير مِنه في عَدَم القدرة على مُواجهة المَوت وعدم الصُّمود أمامه؛ جعلها لَو تخاف من أيّ إنسَان لخافت

30- ديوان عنترة، طبعة رابعة برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة بنفقة: خليل الخوري، صاحب المكتبة الجامعة، بيروت، 1893، ص: 68.

31- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، ص:122.

32- ديوان سحيم، ص:40.

مِن حضير لكنّ هذا الموت قويٌّ جداً لا يمكن أن نستحمل الوقوف أمامه مهما بلغت قوّتنا، يقولُ خفاف وَهو يرثي حُضَير الكتائب وكان صديقه ونديمَه[33]:

لـو أنَّ المَنايَـا حِـدْنَ عَـن ذِي مَهَابَـةٍ ... لَهـبْنَ حُضَـيْرَاً يَـومَ أَغلـقَ وَاقِمَـا
أطـافَ بـهِ حتَّـى إذَا اللَّيـل جَنَّـهُ ... تبـوَّأَ منـهُ منـزلاً مُتناعِمَـا
وَأَوْدَيـنَ بالرّحَـالِ عُـروةَ قبلـه ... وأهلكْـنَ صـيَّاد الفـوارِس هَاشـمَا
وهـوّن وَجْـدِي أنَّنِـي لَـم أَكُـن لَـهُ ... كَطَيـرِ الشِّـمالِ ينتـفُ الـرِّيشَ حاتمَـا

لقد كانت سَطوة الموت متجبرة في نظر الشعراء، وقد بدا ذلك واضحاً في قصائدهم الَّتي أنسنوا فيهَا الموت وأعطوه صِفاتٍ إنسانيَّةً قادِرَةً على التخلص منهم والقضاء عليهم بطرقٍ وأساليب شتّى يقفون أمامها عاجزين لا حول لهم ولا قوة، وذلك في وضع صفات إنسانية في غير الإنسان، على الموت وَغيره من المعنويات التي أخذت أيضاً صفات الإنسان.

أنسنة معنويات أخرى:

إن أنسنة المعنويات في شعر الأغربة لم تقتصر على الزمن أو الموت فحسب بل تعداه إلى أكثر من ذلك ومن خلال استقصاء أشعارهم وجدنا العشرات من المعنويات المؤنسنة غير الموت والزمن الذين ضجوا بالحياة بعد إضفاء الصفات الإنسانية عليها، وعندما تعرفنا على الأسباب التي دعتهم إلى أنسنة الموت كان لزاماً علينا أن نتعرف على الأسباب التي جعلتهم يؤنسنون هذه الأشياء وما الدوافع إلى ذلك؟

33– ديوان خفاف بن ندبة، ص: 72 – 73.

لقد جنح الشعراء الأغربة إلى أنسنة الكثير من المعنويات وذلك بحسب الحالة التي كانوا يمرون بها فعندما نذكر الأشياء المعنوية المؤنسنة يتضح أمامنا الأمر بسهولة فهي(الخيال – المصائب المرض – الدناءة) وسوف نعرض تلك المعنويات ونبدأ بالخيال.

أنسنة الخيال:

قبل الدخول إلى في أنسنة الطيف أو الخيال يجب الوقوف على المعنى اللفظي لهذه الكلمة في المعاجم المختلفة.

فقد جاء في كتاب **تهذيب اللغة** عن مادة (ط و ف): «الطَّيْفُ فِي كَلام العَرَب الجُنون... وَقيل: الغضَبُ طيفٌ لأنَّ عَقْلَ من استفزَّهُ الغَضَبُ يَعزُبُ حَتَّى يَصيرَ فِي صُورَة الْمَجْنُون الَّذِي زَالَ عقلُه»[34].

كما ورد في **كتاب العين** «كلّ شَيْء يَغشَى البَصر مِن وَساوس الشَّيطان فهو طيف، وما في الأشعار من الطيف نحو قوله: (أرَّقني طيف أرقا) يعني أنّهُ يرى خيالها في مَنامه فذلك طيفهَا»[35].

كما ذكر **الزُّبيديّ**: «الطَّيف الغَضبُ، وبه فسَّر ابن عبَّاس قَوله تعالى: (إذَا مسَّهم طَيْفٌ مِن الشَّيطَانِ) وقول مجاهد أيضاً لأنَّ أصلَه طَيفُكم كميت وميّت والطيف بالكسر الخيال نفسه»[36].

34– أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 2001م، ج14، ص26.

35 – الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد. كتاب العين، مادة طوف.

36 – الزبيدي ، مرتضى تاج العروس من جواهر القاموس، مادة طوف

ومن كلّ هذه المعاني لهذه اللفظة نجد أنّها تجمع بين الارتباط الصريح بين الطيف في الليل والخيال، وبالنوم واليقظة والجنون والغضب وقد ذكره ابن حزم الأندلسي في كتابه طوق الحمامة أنّه «لابدّ للمُحبِّ إذا حُرم الوصل من القنوع بما يجد، وإنّ في ذلك لمتعللاً للنفس وشغلا للرجاء و تجديداً للمُنى وبغض الراحة وهو مراتبٌ على قدر الإصابة والتمكن فأولها الزيارة وهي على وجهين: أحدهما أن يزور المحبُّ محبوبه وهذا الوجه واسعٌ والوجه الثاني أن يزور المحبوب محبوبه ولكن لا سبيل إلى النظر والحديث الظاهر ثم يقول ومن القنوع الرضا مزار الطيف وتسليم الخيال وهذا إنّما يحدث عن ذكرٍ لا يفارق وعهدٍ لا يحول وفكرٍ لا ينقضي فإذا نامت العيون وهدأت الحركات سرى الطيف»[37]، وبما أن الشعراء الأغربة كان لهم محبوبات كان بالضرورة أن يتعرضوا لطيوفهن بعد أن عزّ اللقاء في الحقيقة للأسباب التي كانوا يعانون منها كونهم أغربة سود وعلى هذا فهو «أمرٌ مهم عند أهل الغرام يتوصل إليه بالمنام وإنما تدعو الحاجة عند طول الهجر وشدة الهجر ومقاساة نار الملل والسهر ولم أرَ فيه ألطف من كلام أستاذ الوجود وقطب مراتب أهل الشهود عمر بن الفارض بل أظنه السابق إلى هذا المنوال والفاتح في باب الاحتيال»[38] عندما قال[39]:

نَصبْتُ عَلى عَيني بتغميضِ جفنهَا يــزوره زور الطَّيــف حيلــة محتــالِ
فمــا أســعفت بــالقَوم لكــن تعسَّــفت علــيّ بــدمع دائــمِ الصَّــوبِ هطّــالِ

على هذا يكون الخيال في المنام بعد أن عزَّ اللقاء في الواقع، فالشاعر يلجأ إلى هذا الأسلوب عبثاً، فقد احتاج إلى طيف المحبوبة كي يخفف عنه ألم الشوق والوجد، فما

37- الأندلسي ابن حزم، طوق الحمامة، دار المعارف مصر ط2 1977م ص 123 133
38 الأنطاكي، داود، تزيين الأسواق، دار المكشوف بيروت ط1957،1م، ص863
39 ابن الفارض، الديوان، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1990م

كان منه إلا أن أنسنَه كي يَكُون قريباً منه، يؤنسنه دائماً كما لو أنّه كان يعيش معه يقول عنترة[40]:

زَارَ الخَيـالُ خَيـالُ عَبلَـةَ فـي الكَـرَى لِمُتـــيَّمٍ نَشـــوَانَ مَحلُـــولِ العُـــرَى

يأتي طيف المحبوبة على هيئة عبلة وقد جاء الفعل الماضي لتحقيق ثبات فعل الزيارة وقد أراد بذلك تأكيد الحادثة التي طالما انتظرها في الواقع حيث إنّه خصص هذا الخيال وجعله يخصّ عبلة (الخيال خيال) وعلى هذا يكون (خيال) بدلاً من خيالات الناس كلّها ؛ جاء ليريح قلب عاشقٍ متيمٍ تعب من شدة الفراق فلم يبق له رمقاً إلا برؤية المحبوبة، فما كان منه إلا أن ابتدع إنساناً بصورة الخيال كي يخلصه بما فيه، إذ إنّه يكتفي بزيارته مرةً في الشهر، وتجدر الإشارة أنّه يريد الخيال فحسب، فقد أنسنه وجعل منه إنساناً يغنيه عن رؤية عبلة بعد أن تعذر اللقاء يقول[41]:

أيَـا عبـلُ لـو أَنَّ الخَيـالَ يَزورُنِـي عَلَـــى كـــلِّ شـــهرٍ مـــرَّةً لَكفَـــانِي
لَـئِن غِبْـتِ عَـن عَينـيَّ يابنـةَ مَالـكٍ فَشَخصُـــكِ عِنـــدي ظـــاهرٌ لَعيَـــانِي

يبدو أن يأس الشاعر استبد به، فبعد أن امتنعت الزيارة امتنعت الكفاية.

أشياء كثيرة حالت دون شعور الغراب بكينونته، أشياء كَثيرة منعته من التَّمتع بأبسط الحُقوق، فعندمَا امتنعت الإنسانية الحقيقية وُجدت الأنسنة المتخيلة التي لم تُجدِ حتى في أبسط صورها، فعندما ألمَّ طيف المحبوبة لدى سحيم (وألمَّ بالشيء إذا أتاه ولم يلازمه ويقال: ألمَّ بالذنب إذا أصاب منه ولم يُصر عليه) وَهكذا كان طيف المحبوبة يمرّ

40- التَّبريزي، الخَطيب، شرح ديوان عنترة، ص:72.

41- التَّبريزي، الخَطيب، شرح ديوان عنترة، ص:198.

مرورا عابراً كضيفٍ عجول، كغيمة صيف لا تبلل المارة، وكذلك طيف المحبوبة لا يشفي غليل الشاعر أبداً يقول سحيم[42]:

ألـــمَّ خيـــالٌ عشـــاءً فطَافَـــا ولـــمْ يَـــكُ إذْ طَـــافَ إلا اخْتِطَافَـــا
لميّـــــةَ إذْ طرقـــــتُ مَوهِنـــــاً فأضْـــحى بِهـــا دَنِفـــا مُســـتَجَافا
ومـــا دميـــةٌ مِـــنْ دُمَـــى مَيسَـــنَا نَ مُعجبـــــةٌ نظـــــراً واتِّصـــــافا
بِأحسَـــنَ مِنْهَـــا غَـــدَاة الرّحِيـــ ـــلِ قَامـــتْ تُرائيـــكَ وحَفـــا غُـــدَافَا

محاولات كثيرة لاستمرار طيف المحبوبة، وعندما لم تفلح المحاولة لم تجد شيئاً مع الشاعر إذ إنّه لا يرضى باللقاء القصير فإنّه لا يثلج صدره، حيث إنّ قلة اللقاء كان له وقع على الشاعر كوقع المصيبة.

أنسنة المصائب:

إنّ المصائب اسم جامد معنى ليس له وجودٌ ماديّ، إنّما له وقع على النفس يكاد يقتل، فله وقع أشد من ضرب السيف، وعلى هذا صوّرها الشاعر على أنّه إنسانٌ يحاول النيل منه لكن هيهات أن يجدي ذلك مع عنترة الفلحاء الذي بلغت همته قمم الجبال، فعندما حاولت المصائب النيل منه تلقاها بقوةٍ وما برح يهددها بعدم الاقتراب منه يقول[43]:

مَـــدَّت إلـــيَّ الحَادثَـــاتُ بَاعَهَـــا وحَـــاربتنِي فَـــرَأَتْ مَـــا رَاعَهَـــا
يَـا حَادثَـاتِ الـدَّهرِ قَـرّي وَاهْجَعِـي فهِمَّتِـــي قَـــدْ كَشـــفَتْ قِناعَهَـــا
مـا دُسْـتُ فِـي الأَرضِ العُـدَاةِ غُـدْوَةً إلاَّ سَـــقَى سَـــيلَ الـــدِّمَا بقَاعهَـــا

42- ديوان سحيم، ص:43-42.

43- التَّبريزي، الخَطيب، شرح ديوان عنترة، ص:91.

فهي تحاربه من كلّ الاتجاهات والشاعر يصدُّ ضرباتها أنّى اتجهت، فمهما أبدت قوة في قتال الشاعر يُظهر الشاعر أعتى ما عنده في مواجهتها يقول[44]:

حَـــارِبِيْنِي يَـــا نَائِبَـــاتِ اللَّيَـــالِي عَـــن يَمِينِـــي وَتَـــارَةً عَـــن شِـــمَالِي
وَاجِهَـــدِي فِـــي عَـــدَاوَتِي وعنـــادِي أنـــتِ وَاللهِ لَـــمْ تلمِّـــي ببَـــالِي
إنّ لِـــي هِمَّـــةً أشـــدُّ مِـــن الصَّخْـــ ـــرِ وَأقـــوَى مِـــن رَاسِـــيَاتِ الجِبَـــالِ

ولا يقلّ وقع المرض عن المصيبة فله تأثير لا يقل عن وقع المصيبة، فالمَرض عندمَا يجتاح الانسان يقضي عليه بسيفه ويرديه قتيلاً، وهذا بحَسب قوة الشَّخص الذي يقف أمامه، فالرجل غَير المرأة في مواجه المرض، وبدا ذلك عندما دَاهم المرض محبوبة الشاعر سحيم وحاول أن يواجهه عنها يقول[45]:

مَـــاذَا يُرِيـــدُ السِّـــقَامُ مِـــنْ قَمَـــرٍ كـــلُّ جَمَـــالٍ لِوجْهِـــه تَبَـــعُ
مَـــا يبتغِـــي جـــار فِـــي مَحاسِـــنهَا أمالَـــه فِـــي القبَـــاح مُتسَـــعُ
غيـــرَ مـــن لونهـــا وصَـــغَّرهَا فزيـــد فيـــهِ الجمـــال والبِـــدَعُ
لـــو كـــانَ يبغِـــي الفِـــداءَ قلـــتُ لـــهُ هـــا أنَـــا دُونَ الحَبيـــبِ يـــا وَجَـــعُ

فالشاعر أقدر على مواجهة هذا الكائن الفتّاك الذي كاد أن يفتك بالمحبوبة فهذا يحمل كلّ الأشياء الدنيئة، فالدناءة مثلها مثل المرض مثل المصائب تجلب الهمَّ على صاحبها وعلى من يعاشرها فقد صورها خفاف بأنّها إنسانٌ بغيض لا يطاق ولا يمكن لأيّ إنسانٍ شريفٍ أن يعاشر مثل هذا الكائن ويجب عليه الابتعاد عنه يقول خفاف[46]:

أدعُ الـــدَّنَاءَةَ لا أُلابِـــسُ أَهلَهَـــا وَلَـــديَّ مِـــنْ كِـــيسِ الزّمَـــانِ نَصـــيبُ

44- التَّبريزي، الخَطيب، شرح ديوان عنترة، ص:131.

45- ديوان سحيم، ص:54.

46- ديوان خفاف، ص:41.

الخاتمة:

وعلى هذا كانت المعنويات المؤنسنة في هذا الفصل متقلبة، اكتسبت صفات الإنسان في أغراض شتّى وكان أغلبها في مجال الفخر ولا سيما عند عنترة الذي اتخذها في أغراض سامية وضحت مدى قوته و جسارته في مواجهة المحن وقد كانت عند سحيم في فداء المحبوبة، أما عند خفاف فقد كانت تحمل غاية رفيعة وهي الابتعاد عن أهل الدناية ومعاشرتهم وقد اتضح من كلّ ذلك أنّ الشعراء أرادوا بيان أحوالهم في ظل ذلك المجتمع الذي نبذهم، فقرروا أن يبرزوا أنفسهم رغم كلِّ الظروف التي كانت تجثم على صدورهم بسبب الكثير من العادات اللا إنسانية التي استعملها القوم في معاملة العبيد الأغربة الذين وُلدوا في هيئة ليس لهم ذنبٌ بها إنّما كان ذلك ذنب الأحرار الذين سمحوا لأنفسهم في معاشرة النساء الإماء رغم أنّهم يكرهون أن يلدنَ منهم، وفي ذلك نجد مفارقة شاسعة بين من يكره استولاد الإماء وفي الوقت نفسه تكون هناك معاشرةً معهن، لا يخفى على أحدة النتيجة من المعاشرة فقد كانت النتيجة عنترة وخفاف...الخ ممن وقع ضحية لشبق هؤلاء الأحرار.

نتائج البحث:

1- إنّ الأنسنة التي وظفها الشعراء السود كانت كفيلة بتحقيق الانسجام بين الشاعر الغراب وذاته بعد أن فقد وجوده المادي والمعنوي وذاب في بوتقة التقاليد والأعراف البالية.

2- تحوي الأنسنة على قدرٍ كبيرٍ من الصنعة الشعرية والقصدية المطلوبة في خلق التعاطف الإنساني مع الشاعر الغراب، فعنترة مثلاً تعاطف مع الحصان إلا أنه لم يتعاطف مع الموت أو الزمن وكذلك هم البشر يتعاطفون مع القريب إلى نفسهم .

3- لا تكون الأنسنة إلّا بعد رفض الواقع اللا إنساني، فعندما رفض خفاف الدناءة على أنّها رجلٌ رفض في داخله من يتصف بها .

4- شكلت الأنسنة فضاءً شعرياً جعلت الكلام يعبّر عن كلّ شيء اعتمل بذات الشاعر فعندما أنسن سحيم الخيال ذلك لرغبة جامحة في نفسه في لقاء المحبوبة وعندما عرّج عنترة إلى المصائب و أنسنتها ذلك لأنّها أرهقته وعكرت صفو حياته في ظلّ نبذه ونبذ غيره من الأغربة .

المصادر و المراجع:

المصادِر:

1. ابن الفارض، الديوان، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1990م.

2. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين، دار صادر بيروت، ط3، 1993م.
3. أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري، تح: محمد عوض مرعب، تهذيب اللغة، دار إحياء التراث بيروت، ط1، 2001م.
4. الأندلسي، ابن حزم، طوق الحمامة، دار المعارف مصر، ط2، 1977م.
5. التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، قدَّم له ووضع فهارسه وهوامشَهُ: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1992،
6. ديوان خفاف بن ندبة، جمع وتحقيق: الدكتور نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف بغداد، 1967م، د ط.
7. ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، تح عبد العزيز الميمني، القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية، 1950م، د ط
8. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تخريج وتعليق: مصطفى ديب البغا، دار الهدى، ط4، عين مليلة الجزائر، 1990م.
9. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تحقيق: مصطفى مجازي، تاج العروس من جواهر القاموس، مطبعة حكومة، الكويت، د.ط، الكويت 1969م.
10. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد. تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، كتاب العين، دار و مكتبة الهلال، د ط، د ت.

المراجِع:

1. إبـراهيم ، د. جـودت ، منهجيــة البحـث , مديريــة الكتـب والمطبوعـات 2007–2008م .
2. أركـون، محمـد، ترجمـة :هاشـم صـالح، معـارك مـن أجـل الأنسـنة فـي السياقات الإسلامية، دار الساقي ،بيروت لبنان، ط1، 2001م،
3. إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، أحمد حسن الزيات المعجم الوسيط، دار الدعوة ، اسطنبول، تركية، د ط، 1989م.
4. أحمـد، مرشـد، البنيـة والدلالـة فـي روايـات نصـر الله، المؤسسـة العربيـة للدراسات والنشر، بيروت ط1، 2005م.
5. الأنطاكي، داود، تزيين الأسواق، دار المكشوف بيروت، ط1، 1957م.
6. الجبوري محمد فليح حسن، ماهر صبار فهد: أنسنة الزمان في العصر الجـاهلي الشـعراء الفرسـان اختيـاراً، جامعـة المثنـى كليـة التربيـة للعلـوم الإنسانية، 2015م.
7. الشمري، ثائر سمير حسن، التشخيص في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري دراسة نقدية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2018م.
8. فوغـالي، د. بـاديس الزمـان والمكـان فـي الشـعر الجـاهلي، عـالم الكتـب الجديد، الأردن، ط1، 2008م.
9. محمد: حسين نجيب: الروح بين العلم والعقيدة، الحياة بعد الموت، دار الهدى للطباعة والنشر، ط3، بيروت، لبنان، 2005م.
10. مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، عدد24، المجلس الوطني للثقافة، الكويت 1998م.

الرسائل الجامعية

1- لبنيني، زهيرة، بنية الخطاب الروائي عند غادة السمان دراسة بنيوية، رسالة ماجستير، جامعة العقيد الحاج خضر، باتنة، 2007-2008م

الشابكَة:

1. المقدم، لمياء، موت الزمن المتكرر الخميس 20 يونيو 2019م، الشابكة.